

٢

روايات عالمه للحب



Looloo

www.dvd4arab.com

تأليف : رايدر هاجارد
إعداد : د. نبيل فاروق

كنوز الملك سليمان

قصتي في الواقع عجيبة وغريبة ، حتى أنني
اتساءل ، وأنا أخطئها إليكم ، عما إذا كانت قابلة
للتصديق أم لا ، فهي - على الرغم من حدوثها -
تبدو أقرب إلى روايات الأساطير ، وخيالات الأدباء ،
بكل ما تدخر به من أحداث مثيرة ، ومواقف
مدهشة رهيبة ، وبكل ما تحمله إلى مستمعها
وقرائها من روائع الشرق ، وغموض الأدغال
والبراري ..

ثم أنني لست بالبطل الأسطوري المقدام ، الذي
يمكن أن تحاك حوله كل هذه المغامرات والأحداث ،
فلقد ولدت في (كمبرلاند) ، من أب مزارع ، اختار
لنفسه زوجة من إحدى مقاطعات (ويلز) ، مما
أورثنى حب الانتقال والأسفار ، وملا عروقي بدماء
المغامرة والمجازفة ..

ولا تجعل هذه المقدمة تبهرك ، أو تحبس أنفاسك ،
أو تدفعك إلى رسم صورة خيالية لي ، أبدو فيها
ممشوق القوام ، مفتول العضلات ، وسيم الملامح ،
فانا - على العكس - هزيل نحيل ، لي وجه يشبه
وجه الجدى الأبيض ، إلى حد دفع المصريين إلى أن

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزرع به الأدب
العالمي ، في مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دلتا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

بطلقوا على اسم (الجدى الأبيض) بالفعل ، عندما
قضيت فترة أسيرا في سجونهم ، بأمر خليفتهم ..
ثم إن عمرى الآن يناهز الخامسة والستين ..

ولكن دعونا نعود إلى قصتى ..

إننى طبيب من الطراز القديم ، الذى لم يكن يعتمد
على طرق العلاج الحديثة ، ولم أكد أبلغ سن الشباب
حتى رحت أغذى رغبتى فى الانتقال ، بالسفر إلى
الشرق والغرب ، حتى استقر بى المقام فى (القاهرة) ،
مع حلول عيد ميلادى الأربعين ، وفيها رحت أمارس
مهنتى ، وتصورت أننى سأكتفى بممارستها حتى
آخر يوم من عمرى ، لولا أن التقيت بمستر (هيجز) ،
عالم الآثار الشهير ..

ولهذا اللقاء قصة ..

لقد دعيت يوما لتوقيع الكشف الطبى عليه ،
عندما أصيب بمرض التيفوئيد ، وعلمت أنه واحد
من أشهر علماء الآثار فى العالم ، وأنه يتحدث ما يقرب
من خمس عشرة لغة ، كما يمكنه قراءة اللغة
الهيروغليفية بنفس البساطة التى يقرأ بها (جريدة
التايمز) ، وأنه قد أنفق آخر قرش يمتلكه على بحوثه
فى علم الآثار والتنقيب ، فلم أتردد فى معالجته مجانا ،

إلى أن شفى تماما ، وقامت بيننا صداقة وثيقة .
خاصة وأنه كان فى الثالثة والثلاثين من عمره ، أى
أن الفارق السنى بيننا لم يكن كبيرا ..

وفى (القاهرة) ربطنى الحب والزواج بفتاة
قبطية ، من إحدى أسر الصعيد ، وسليمة للفراغة
الأمجاد ، ونعمت معها بسعادة لا مثيل لها ، على
الرغم من احتفاظها بطابعها الشرقى ، وانجبت لى
ابنا واحدا ، ثم أصابها الطاعون اللعين ، فقضت
نحبها ، وتركت لى الطفل ، الذى أبت الأقدار أن
تترك لى لمحة من الحياة معه ، وأصرت على أن تملأ
كأس حزنى حتى حافته ، فاختطف رجال (المهدي)
ابنى ، وحطموا ما تبقى من نفسى تحطيمًا ..

وبعدها سارت بى الحياة على نهج ثابت ، ووتيرة
حزينة ، إلى أن فكرت يوما فى زيارة وطنى ،
فسافرت إلى (لندن) ، واتجهت من فورى لزيارة
مستر (هيجز) ، وهناك قادتنى خادمته إلى حجرة
مكتبه ، حيث وجدت نفسى بين أكداش من التحف
والمخطوطات والبرديات الفرعونية ، وصناديق
احتشدت ببقايا موميאות وأجزاء بشرية محنطة ،
ولم يكد (هيجز) نفسه يصل ، حتى بدا لى شبيها
بتلك الأشياء ، وهو يرتدى معطفا أبيض اللون ،

اتسخ كثيرا بآتربة وغبار العمل ، وقد وخط الشيب
فوديه ، وبدا وكأتما قد تسلل إلى عينيه الباهتين ،
وهتف وهو يصافحني في حرارة :

— يا للمفاجأة !.. (ريتشارد آدمز) بشحمه
ولحمه !.. أهو أنت حقا ؟

ابتسمت وأنا اصافحه قائلا :

— يلوح لي ان كلمة شحمه هذه تحمل الكثير
من المبالغة يا صديقي ، والواقع انني اردت مفاجاتك ،
فأخبرت خادمك انني مجرد صديق ، ولم اذكر
لها اسمي .

هتف :

— مرحبا بك في اية لحظة يا صديقي .. دعني
اقدم لك صديقي الكابتن (اورم) .

صافحت الشاب الذي قدمه لي ، وهو مشوق
القوام ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، هادئ
الطباع ، يبدو في الخامسة والعشرين تقريبا ،
و (هيجز) يستطرد في حماس :

— (اورم) هو احد نوابغ اللغة العربية وعلم
الآثار المصرية ، ولقد تطوع في الجيش إبان حرب
(البوير) ، وأصيب ثلاث مرات .

تبادلت كلمات المجاملة مع (اورم) ، وانهمك

ثلاثتنا في احاديث طويلة ، استعدنا خلالها بعض
الذكريات ، أنا و (هيجز) ، وتناولنا بعض الطعام
والشراب ، ثم اشغل (هيجز) غليونه ، واسترخى
في مجلسه ، وهو يسألني في اهتمام :

— قل لي يا (آدمز) : لماذا عدت إلى الوطن ؟

اجبته في بساطة ، وأنا الوح بكفي :

— مجرد إجازة .

اعتدل في حركة سريعة ، وانعقد حاجباه في اهتمام
بالغ ، وهو ينفث دخان غليونه ، متطلعا إلى خاتم
كبير من الذهب ، يزينه فص من الياقوت الأزرق
في إصبعي ، وقد نقشت عليه حروف قديمة ،
فسألته :

— هل يروق لك ؟

أوما برأسه إيجابا ، ومد يده إلى ، فنزعت
الخاتم ، ووضعت في راحته ، وراح يفحصه في
اهتمام ، ثم سألني :

— هل تعرف معنى تلك الحروف القديمة ؟

هزرت رأسي نفيا ، فقرأ الكلمات في هدوء :

— هدية من (سليمان) الحكيم إلى (بلقيس) ،
ابنة الملوك والحكمة والجمال .

ضحكت قائلا :

— يا له من تقليد طريف !! لقد ابتعت الخاتم
من صائغ في (القاهرة) ، بجنيه ونصف فحسب .
تطلع إلى في شك ، منمغما :

— اتعنى أنه مجرد خاتم مقلد .. لا .. يبدو
لي أنك تسخر منى فحسب ، وإلا فمن صنعه مثقف
للقاية ، حتى يخط عليه هذه النقوش العبرانية
الدقيقة .

ران الصمت علينا لحظة ، ثم قلت :

— الواقع أنني قد حصلت عليه من سيدة تدعى
(أم النجاشي) ، وهي تدعى أنها حفيدة (سليمان)
و (بلقيس) .

راح يفحص الخاتم مرة أخرى في اهتمام ، ثم
دسه في أحد جيوب صدره ، وابتسم قائلا :

— اهذه هي القصة كلها ؟

القيت نظرة جانبية على كابتن (اورم) ، ثم
اعتدلت قائلا في حزم :

— أنا مستعد لأن أقص عليك القصة كلها ، بشرط
أن يقسم كابتن (اورم) ألا يعيد كلمة واحدة مما
سيسمع على أذن أحد .

قال (اورم) في هدوء :

— لنق اننى اهل لثقتك يا سيدى .

بعثت كلماته ولهجته الطمأنينة إلى نفسى ، وبدأت
أروى لهما ، قائلا :

— حدث أن اعتقلنى خليفة (مصر) خمسة
أعوام كاملة ، لخلاف بينى وبينه ، ولم يكذب يطلق
سراحي حتى سميت للبحث عن ابنى (رودريك) ،
الذى اختطفه رجال (المهدي) قديما ، ورحلت اقضى
عمرى متجولا في صحارى (افريقيا) ، على أجد
ولدى ، وقد باعه هؤلاء أوغاد كالرقيق ، إلى إحدى
القبائل أو أحد التجار ، ولما كان ابنى موسيقيا
موهوبا ، فقد كان تتبع خطواته امرا ميسورا ،
ولقد علمت أنه قد راح يتنقل من قبيلة إلى أخرى ،
وقد اطلقوا عليه لقب (مطرب مصر) ، لإتقانه
لغتهم ، والعزف على آلاتهم الوطنية ، وعلمت أنه
يستقر الآن وسط قوم من انصاف البرابرة ، يحملون
اسم قبائل (الفنج) ، ويقيمون في وسط (افريقيا) ،
فتنكرت في زى تاجر عربى ، وسافرت مع عدد من
التجار إلى حيث (الفنج) ، وهناك تسلفت حائط
أحد معابدهم ، في أثناء أحد احتفالاتهم الدينية ،
واستمعت إلى غنائهم .. ولسمعادتى ميزت صوت



استعدت وعي بعد أسبوع كامل ، ووجدت نفسي أرقد في شرفة واسعة لمنزل أنيق ..

ولدى بينهم ، وتعرفته على الرغم من ثوبه الأفريقي ،
والأعوام التي انقضت منذ فراقنا ، ولحظتها غلبني
انفعالي ، ودفعني حنين الأبوة إلى أن اتناسى كل
قواعد الحذر ، وأصرخ مناديا باسم ابني (رودريك) ،
وهنا ساد الهرج والمرج ، ولحني بعض (الفنج)
في مخبئي ، وانطلق عدد منهم نحوى ، فغلبني
الجبن ، وأطلقت ساقى للرياح ، ورحت أعدو بكل
ما أملك من قوة ، وقد ارتشق أحد السهام بين
كتفى ، غير مبال بزئير الأسود في الأدغال ، ولا
بالأحراش المظلمة ، ولكن فجأة انقض أسد على جواد
يجاورني ، وأصابني بالرعب ، وسقطت فاقد
الوعي .

بدا الانفعال واضحا في صوت (هيجز) ، وهو
يسألني :

— وماذا حدث بعدها ؟

أجبتة :

— استعدت وعي بعد أسبوع كامل ، ووجدت
نفسي أرقد في شرفة واسعة لمنزل أنيق ، وإلى
جوارى حيشية حساء ، تعنى بجراحي ، وتداوى
الأمى ، وعلمت فيما بعد أن (الفنج) قد انتقموا
من قافلة التجار العرب ، الذين اندسست وسطهم ،

وأحرقوها عن آخرها ، وأن هؤلاء الذين أنقذوني
من الأسد هم أبناء قبيلة (أباتي) ، التي تعيش في
مدينة (إلمور) ، وقد نالوا نصيبا موفورا من المدينة ،
ويبلغ تعدادهم ما يقرب من العشرين ألف نسمة ،
وهم يحيون في رعب دائم من (الفنج) ، الذين
يحملون لهم كراهية متوارثة ، ويمتلكون حصنا عجيبا
جبليا ، ورثوه أيضا من أجدادهم .

سألني (هيجز) ، وقد ملأت اللهفة حواسه
كلها :

— ثم ماذا ؟

تهدت قبل أن أقول :

— بذلت أقصى جهدي لحض (الأباتي) على
إعداد حملة ضد (الفنج) ؛ لإنقاذ ولدي من العبودية
والرق ، ولكنهم سخروا مني ، وأعلنوا رفضهم
الناس لفكرتي ، فلم أجِد أمامي سوى ملكتهم
(مجيدة) ، ابنة الملوك والجمال والحكمة ، وتظاهرت
بالاهتمام بصحتها كطبيب ، وأفضيت إليها بفكرتي ،
فترددت طويلا ، ثم أخبرتني أن لـ (الفنج) معبودا
على هيئة (أبي الهول) ، ولكن رأسه ليست على
شكل رأس إنسان ، وإنما هي رأس كبش ضخمة ،
وهذا المعبود يدمي (هرمق) .

تمتم (هيجز) ، وهو يستمع في اهتمام :

— هذا يعني (إله الفجر) .

واصلت دون الالتفات إلى تعليقته :

— و (الفنج) يؤمنون إيمانا قاطعا بأن تدمير هذا
المعبود هو أمر بالرحيل عبر نهر الجنوب العظيم .
سألني (هيجز) في اهتمام بالغ :

— أي نهر هو ؟

اجبته في اهتمام مشابه :

— لم تذكر اسمه ، ولكنه أحد روافد نهر النيل
حتما ، أو أحد فروع . . المهم أنني قد اقترحت
عليها السعي لهدم ذلك المعبود ، فضحكت وأخبرتني
أنه شديد الضخامة ، في حجم جبل صغير ، وليس
من الهين هدمه بالأيدي ، ثم إن رجالها قد فقدوا
الكثير من شجاعتهم وبأسهم ، وأنهم قد استكانوا
للعيش في أرضهم الخصبة ، حتى يوافيهم الأجل
وتطوى صحائفهم ، ولما سألتها عما إذا كانت هي
قائمة بكل هذا الخضوع والخنوع ، أجابتني بأن
الحزن يملأ قلبها وعقلها ، ويؤرق نومها ، ولكنها
على أية حال امرأة ، لا حول لها ولا قوة ، ثم حاولت
قلب الأمور ، فراحت تفريني بكنوز أجدادها المخيأة ،
وتعدني بجبل من الذهب والمجوهرات ، لو أنني

سميت لهدم ذلك المعبود ، فأجبتها بأتنى زاهد في
المال والثروة ، وكل ما أرغب فيه هو إتقاذ ولدى ،
الذى يحيا كمعبد بين (الفنج) ، فأصرت على موقفها ،
وعلى أنها لن تبدل جهدها أو رجالها في سبيل
استعادة ولدى ، قبل أن يتم هدم ذلك المعبود ، وهنا
رحت اشرح لها فوائد الديناميت ، وقوته ، وتأثيره ،
وخواص غيره من المتفجرات ، فهتفت في حماس ،
تطالبني بالعودة إلى بلادي ، وإحضار المواد اللازمة
لهدم ذلك المعبود ، واثني أو ثلاثة لمعاونتي ،
وستمنحني كنوز الأجداد كلها ، وتساعدني في
استعادة وحيدى .

سألنى (أورم) :

— وماذا فعلت ؟

اكملت انا :

— منحتنى الملكة (مجيدة) الكثير من الذهب ،
وعددا من الرجال والجمال ، وسلطنا دروبا خفية ،
لا يعلم عنها (الفنج) شيئا ، وقطعنا عدة أميال في
الصحراء ، حتى بلغنا (اسوان) ، وهناك تركت
الرجال والجمال منذ اسبوعين ، وهرعت إلى هنا ،
لمعرفتى بمدى شغف صديقى (هيجز) بالاثار
القديمة ، واردت ان أمنحك ، إلى جوار الثروة ،

فرصة لتكون اول من يكشف مدنيات قديمة ،
ضاعت في غياهب المجهول ، وكل ما اطلبه الآن هو
ان نجد رجلا خبيرا في المفرقات ، ياخذ على عاتقه
مهمة هدم معبود (الفنج) .

ابتسم (هيجز) ، وأشار بطرف غليونه إلى
كابتن (أورم) ، قائلا :

— الامر اسهل مما تظن ، فها هو ذا كابتن
(أورم) ، مهندس وكيميائى ، وخبير مفرقات ،
إلى جانب إجادته التامة للغة العربية منذ صباه .
تطلعت إلى الكابتن ، أسأله :

— هل ترضى بإقحام نفسك في مثل هذه
المخاطرة ؟

هز كتفيه ، مجيبا في هدوء وبساطة :

— ليس لدى الآن ما يمنعنى من هذا .

سأله :

— ماذا تعنى بكلمة (الآن) ؟

تضرج وجهه بحمرة خفيفة ، لم تلبث ان تلاشت
في سرعة ، وهو يجيب :

— الواقع اننى كنت اتصور ، حتى امس فقط ،
اننى قد ورثت ثروة عظيمة ، من عم لى ، توفى في

جنوب (أفريقيا) ، واليوم علمت انه كان قد تزوج
من امرأة أدنى منه مرتبة ، على نحو سرى ، وانجب
منها ولدا ، هو وريثه الشرعى ولا شك ، ولكن هذا
ليس السبب الوحيد لرغبتى فى ترك (إنجلترا) ،
وإنما السبب الحقيقى هو أن المرأة التى تصورت
انها تحببى ، وآننى سأصبح زوجها لها ، قد صارحتنى
اليوم بأنها لن تتزوج ضابطا متقاعدا ، ضاع أمله
فى ميراث عمه .

بدا لنا الموقف حساسا ، فلم ننطق أنا و (هيجز)
بتعليق واحد ، احتراما لمشاعر الشاب ، الذى
صمت بدوره ، قرآن على المكان صمت رهيب ،
قطعه (هيجز) أخيرا فى صوت مرتفع ، وكأنما يدير
دفة الحديث بعيدا عن موطن احزان (أورم) :
- ما غرضك الحقيقى من هذا يا (آدمز) ؟

اجبته فى ألم وانفعال :

- حاول أن تضع نفسك فى مركزى .. تصور
أن ابنك الوحيد سجين مع قوم غلاظ النفوس ،
قساة القلوب وأنت قد عثرت عليه ، بعد أن نضج
واشتد عوده ، فهل تتركه عبدا بينهم .
- انتقله بتعريض رقبتك للسيف ؟

- الأبوة يا صديقى غريزة لا تقهر ولا تقارن ، ثم
إن (مجيدة) قد وعدتني بالمساعدة والمال ، ولما
صارحتها بأن أحدا لن يصدق قصتى ، منحتنى
خاتمها للدلالة على صحة القصة ، ومنحتنى الذهب
لشراء المال والعتاد ، وسالتنى ألا يزيد عدد معاونى
على ثلاثة ، فهل ترغب فى أن تكون أحدهم ، أم أبحث
عن غيرك ؟

تطلع إلى فى صمت ، وهو يشعل غليونيه ، وينفث
دخانها فى بطنه ، ثم لم يلبث أن مال إلى الأمام بفتة ،
وسألنى :

- لديك بعض الذهب الذى منحتك إياه ملكة
(الأباتى) ؟

قلت وأنا افتح حقيبتي الصغيرة :
- ها هو ذا :

ناولته بعض الذهب ، ففحصه فى اهتمام ، وبدأ
على ملامحه أن شكوكه قد تبددت ، وهو يقول
لـ (أورم) :

- ما دام يحتاج إلى ثلاثة معاونين ، فلم
لا نسطحب الجاويش (كويك) ؟

ثم التفت إلى مستطردا :



ناولته بعض الذهب ، ففحصه في اهتمام ، وبدأ على ملامحه أن
شكوكه قد تبددت ..

— إنه معاون الكابتن ، منذ كانا معا في الجيش ،
وهو خبير الفام ومتفجرات ، ولقد كان ميكانيكيا
قبل الحرب ، ثم إنه مخلص كتوم ، متين البنيان ،
وبسرعة ، استدعى (اورم) الجاويش (كويك) ،
الذي بدا لي واضح القوة والبأس ، وسأله
الكابتن :

— ما رأيك في رحلة إلى وسط (افريقيا)
يا (كويك) ؟

ضرب (كويك) كعبيه بعضهما ببعض ، شأن أي
جندي محترف ، وأجاب :

— لا رأي لي يا سيدي .. إنني أذهب حيث
يأمر رئيسي ، ثم إن المتفجرات هي أبسط الأشياء
التي أجيدها .

أصابتنا الدهشة ، وهتف (اورم) يسأله :

— كيف علمت هذا ؟

أجاب دون حتى أن يتسم :

— أبواب المنازل القديمة هشة غير منماسة
يا سيدي ، وصوت مستر (آدمز) ليس من
الاصوات التي تحجبها الجدران .

انفجرنا ضاحكين ، وقال (اورم) :

سنة اسابيع مضت ، ونحن نسير في لجه
لا ننهي من الرمال الصغراء ، التي لم تطاها قلبا
حتى قوافل الدو الرحل ، والشمس تشرق كل
صباح بصوتها الأحمر من خلف الباب الشرقي ،
وتحفي في المساء خلف الكثبان الغربية ، ليصعد
العمر ، ويعمر بحر الرمال بصوته الغصني الساخر ..
وأخيرا بدا لنا ذلك الحل ، الذي هو معبود
(الفصح) ، الذي يواحه مدينتهم (هرمو) ، التي
لا يحاور بعداد سكانها الخمسين ألف نسمة ..
وأخيرا (القط) ، قائد قافلنا ، أن للجبيل
المحيطه بالمدينة مدخلا واحدا ، على مسيرة ثمانية
ايام إلى الشمال ، وأنه لا سبيل للويع هذه الايام ،
حيث تعرضه - في هذا الوقت من السنة - بحيرة
كبيرة ، يفيض منها نهر (ايسور) ، وينهرع إلى
فرعين ، يحيطان بسهول (الفصح) كلها ، ولكن هناك
وسيله أخرى للويع المعبد المقام على صحور شامحة ،
الا وهي أن نترك الجمال والاحمال ، ونسلك
الجبيل ..

وكان هذا مستحيلا ..

- إذن فليست تمناع في مرامنا .. هل تدرك
ما سنعرض له من مخاطر وأهوال ، وما ستواجهه
من احتمال عدم العودة مطلقا ؟

هز (كويك) رأسه في بساطة ، وقال :

- ليس أحب إلى نفسي من المغامرة ، ثم إنا
نسحبت عن ثروته ، وكل ما اطلبه هو أن احصل
على خمسة في المائة منها ، لو عثرنا عليها .

هتفت في حماس :

- خذ عشرة في المائة .

أجاب في هدوء :

- تكفي خمسة في المائة يا سيدي ، ويمكننا
أن نحرر عقدا بهذا ..

وبالفعل تم تحرير العقد ..

وبدأت المغامرة ..

ولم يكن من المحدثي أن نضع ذلك المعبود ، محلهمين
وراءنا كل ما احصرناه لتدميرهم ؛ لذا فقد سألت
(القط) في اهتمام :

— ما العمل إذن ؟

هز كتفيه في لا مبالة ، واجاب :

— ليس امامنا سوى أن نسير ليلا ونخفي
نهارا ، فمن عادات (الفصح) انهم سيميمون حفلا
رائعا للربيع في مدينتهم عدا ، ومع الفجر يسفلون
إلى معبدهم ؛ لعدم الفرايين لمعبودهم ، وهم
يرفعون الحراسه في تلك الساعات ، ليشاركهم
الحراس احمالهم ؛ لذا فالوسيله الوحيدة هي أن
نطلع اول طريق المور ، مع ليله الاحدل بعيدهم ،
وساحر رحلي ؛ لإرسال من يرشدنا إلى الطريق
وسط الظلام .

— وكيف يمكنك إبلاغهم ؟

— بإشارات الدخان .. سأحرق بعض الأعشاب ،
وسيصور (الفصح) انها سراا أحد صيادي
المنظمة .

— اليس في ذلك مجازفة كبيرة ؟

— مجازفة ؟!! عجيبا !!.. ما كنت اظن
الإنجليز جبناء هكذا .

وهنا انفجر (هيجز) غاضبا :

— جساء ؟!!.. كيف تجرؤ على هذا القول ايها
المدر .. انظر إلى هذا الجاويش .. إنه حادما ،
واقليا شانا ، ولكن ما بإصبعه الصغير من شجاعة
يعوق ما تحمله منها قلوب قبيلتك كلها .

احتمر وجه (القط) عصا ، ورفع راسه قائلا
في غلظة :

— انت تنطق هراء يا (هيجز) ، ولكن قولك
هذا سيغير كثيرا ، عندما تجد سيف (الفصح)
فوق عنقك .

كاد (هيجز) يشترك معه في حوار عيب ، إلا
أن (أورم) تدخل قائلا :

— كفى .. اظن أن لدينا من المتاعب ما يعيبنا عن
المزيد منها .

ثم التفت إلى (القط) مستطردا :

— لا داعي للشجار يا رجل .. إنك قائدنا في
ساعات السلم ، وأنا القائد عندما يستخدم الفئال .
وبن سلمك قيادنا الآن ، فعدا ايما وحيثما
شئت ، وسنتبعك على الرحب والسعة .

ظهر الارتياح على وجه (القط) ، وكأنما أعادت

إليه كلمات (أورم) كرامته ، في حين راح هذا الأخير
 يطمئن على الإبل والحياد ، وذهبت أنا و (هيجر)
 و (كويك) إلى حياما ، في محاولة ما لاحتلاس قدر
 من النوم ، قبل أن تهاجمنا أسراب العووس اللعينة ،
 وقبل أن انعم بعدد كرف من النوم ، جاء الجاويش
 (كويك) ليوقفني مع معيب الشمس ، وليساعدني
 على حزم امتعتي ، ووجدته يقول في قلق :

— لسبب اتق عادة في العظ الذي يرر محاسنه
 هكذا ، فذلك الرجل يبدو لي مأكرا حيثما ، يكره
 البصر ، ويسمى لو نهك قبل عودتنا من (المور) .
 كان هذا شعوري أيضا في الواقع ، إلا أنني رحت
 أعمل على تهدئة (كويك) ، وأظننا جميعا نعلم
 طريقتنا تحت حبح الظلام ، حتى بلعنا حرائث المدسه
 المبحورة ، المظه على الهاوية ، تحت صخور (المور) ،
 مع تباشير المحر ، فحفظنا الرجال ، وجسنا
 سريخ . وعندما اعتنت الشمس من السماء ،
 أمكسى رؤية مدينه (هرمق) العظيمة ، ببطاري
 المقرب ، على بعد خمسة عشر ميلا .

كانت مدينة كسرة ، ماربها كثيره ، داب اسقف
 بصر ، تحيط بها الحدائق من كل جانب ، وشوارعها
 واسعة ، وأسوانها مسيحه ، وحول المدينة حدار

عال ، ترتفع في أركانه أبراج عالية ، وببها بوابات
 كبيرة ، وحول الجدار مراع يبيت فيها العشب
 الأحضر ، وتنتشر فيها قطعان الماشية والأعنام
 والحياد ، وعلى مقربة منها ما يشبه مدينت أو قرى
 صغيرة ، من المستحيل أن يشيدها أو يعطيها الهمج
 أو البرابرة ..

وبعنا في أمكسا ، سطر قدوم الليل ، لتكمل
 مسيرتنا نحو أرض (الفتح) ، ورحلت أراقب
 (العظ) ، وأنا أتذكر حديث (مجيده) عنه ..
 قالت : « لا نخلو نفسي من الشك في أمره ، ولكنني
 استعمل فيه دهاء ومكره وحرانه ، وعليك أن نتحد
 كل الحذر منه ، فليس أطمئن إليه إلا لاسي أحتفظ
 بروحه وأطفاله رهيبه عندي . وأعدده بمكانه صحمه
 معربه ، لو ساعدكم على هدم معبد (الفتح) » ..
 تذكرت كلماتها وأنا أطلع إلى وجه (العظ) ،
 الذي يحمل كل ما يشير القلق في العووس ، حتى أن
 كلنا الوديع (مرعوس) كان يكرهه ، ويسبح في وجهه
 دوما ، بل لقد حاول مرة أن يعرض ألبابه في ساقه ،
 فنادله (العظ) الكراهه . ولم تكده عليه سم
 (الاستركيس) نفع في يده ، حتى غمس فيها قطعة
 من اللحم ، وألقاها إلى (مرعوس) ، الذي كاد يلتهمها

بالفعل . لولا أن شئت (هجر) في ذلك المصايف
 المصاعف . فأسرع يمحض قطعه اللحم . ولم يك
 يدرك مقصد (اعط) حتى نسي بينهما معركة
 بالأندي . كدب نسي إلى معركة طاحه بيت وبي
 رحا (اعط) . لولا أن تدخل الكائن كالمعد .
 وأنهى الصراع . وجميعهما نصب فحار . ولكنى طلب
 واقف من أن نفس . اعط لم تهدأ تجاه (هجر) .
 وإن حمده غيبه سببها مع مرور الأيام ..

نوعت عن احمرار الأفكار والذكريات مع مقدم
 الليل . حيث عاودنا السير . يتقدمنا دليل من
 (الأتني) . يحفظ كل شئ في الطريق . وهذه كانت
 (اورم) وانحاوش كوث . يعودان الإبل المحملة
 بالمرفعات والمفحرات . وأنا جميعها للمرافقه
 واحراسه . وحمى حمار الدفلة الأخرى . ثم في
 المؤخرة سير (هجر) و (اعط) بصحة أثير
 من (الأباتي) ..

وبعد أصر (اعط) على السير في المؤخرة . حتى
 لا نسي إليه إبه أخطاء قد مع فيها . وصحة
 (هجر) . لبدل على صفاء بينه وطيب طوبته
 تجاهه ..

وتجاه هطل الأمطار في غيب . وراحت الرياح

ترار ونعوى . إلا أنا لم نتوقف وإنما واصلنا سيرنا
 في إصرار وصمت . طيله ثلاث ساعات . حتى واجهنا
 أصواء (هرمي) . وسمعا همسا يدعونا لتوقف .
 ثم لم نلبث أن تبنا أن صاحبه هو أحد الوطنيين من
 (الأباتي) . اندس أرسسهم (اعط) لاستطلاع
 الطريق . وقد عاد يبحرنا أن عددا من فرسان
 (الفصح) سدوا الطريق . وأنه من الضروري أن
 نتوقف قليلا . حتى يسموا إلى مكان آخر . ونسبحوا
 لنا السبيل ..

وانحه (اعط) إلى المقدمة . ليستطلع ما حدث .
 ولم يك كليا (فرعون) شمس رائحه عدوه . حتى
 انطلق ينبع في شراسة ..
 وانطلق (القط) يعدو ..

واصفرت الحمال لعدوه . وانظمت بمدور
 بدورها ..

وحمل فاده الحمال . عندما راوا (القط) يهر
 فوق أحد الجمال . ويركض به هاربا ..
 وهنا التفت إلينا فرسان (الفصح) ..
 وهبط فلى بين ساقى . عندما رأينهم يرفعون
 مشاعلهم . ويتجهون إلينا ..
 وكانت لحظات محييه ..

لم ندر كيف فعلنا كل هذا ..

لقد فخرنا كلما فوق ظهور الجمال ، وتركناها
تعدو بنا سرعه الرق ، دون ان نحدد هدفنا او
اتجاهنا ..

لا ريب ان الدعر ، ذلك الذي جمعنا نفعل كل
هذا ..

إيه اقوى محرك لم هو في مثل موقعنا او
طروفنا ..

المهم ان الحمال راحت تعدو مستعدة ، ونحن
نسبها قيادنا تماما ، حتى حفت سرعتها ، إلى ان
راحت تسير تحت قباب عاليه ، وتوقعت كلها فجأة ،
فهبط عن ظهورها ، وربطنا بعضها إلى بعض ،
واوينا إلى برج عال ، ننمى به الأمطار العريرة ، وقد
اجتمعت قلوبنا إلى ان مطاردينا قد فشلوا في تتبع
خطانا ، فتراجعوا إلى مواقعهم ..

لحظتها كشفنا اختفاء (هيجز) ..

واصابنا هذا بالذعر ..

إسا لم نلاحظ هذا ونحن نعدو هاربين ، ولم ننتبه
حتى إلى ما حدث ..

هل نبع (العظ) في مراره ، ام فشل في اعتلاء
حملة مثلنا ، فأوقع به مرسا (المح) ؟!

حرنا في البحث عن الجواب ، وعلينا الحزن
والنوم ، فرحنا في سبات عميق ، لم نستيقظ منه
إلا عند العجر ، فوجدنا ان الأمطار قد انعطت ،
وكشعت السماء الصافية ، التي تنالق فيها بقايا
الحوم ، التي يبدو ضوء الشمس بريقها قدربحيا ..
ورفع كابتي (أورم) رأسه إلى أعلى ، وهو
يقول :

— تعالوا سنكتشف ذلك المكان ، ونصعد في هذا
الدرج هنالك .

رحنا نصعد في درجات السلم المرتفع ، حتى وجدنا
انفسنا على قمة احد ابراج سور مدينة (هرمق) ،
نطل على واد مسيع يتوسطه تمثال حيوان رائع
الصخامة ، يشبه تمثال (آسي الهول) ، ووجدت
نفسى اهتف في انفعال :

— إنه مصبود (الفنج) .

غمغم (أورم) في حزن :

— كم اتمنى لو آسى انا الذي لقي مصرعه ، بدلا
من (هيجز) ، حتى لا يحرم رؤية ذلك الاثر
الهائل .

وصمت لحظات ، ابتلع خلالها حربه ، قبل ان
يضيف :

— هيا نهبط ، فقد يمكننا الفرار ، قبل ان
ينفثع ضباب الفجر .
اجبته في انفعال :

— انتظر .. انظروا إلى تلك الصخرة هناك ..
نبت إلى ترمض فوقها اسوار ، والتي يحيط بها
الضباب .. إنها الصخرة البيضاء ، التي قال
، اعط .. إنها بداية سلسلة الجبال ، التي تسهي في
، المور .. هيا نحه إليها ، فقد يكون هذا هو
فرصتنا الوحيدة للنجاة .

هبطنا إلى حيث تركنا الجمال ، ورحنا بمحصى
ابواب حذار (هرمي الصخم ، ووحديها من
الساحس والروبر ، وقد علاها اصدا ، وهي معمة
من الداخل ، وبها فحواص مستطمة ، ستخدمها
— ولا شك — فرسان (الفصح) ، في إطلاق سهامهم
على الأعداء ..

وانحسب لآلى نظرة عمر إحدى الفحواص ..
ثم تراجعت في رعب ..

لقد كان هناك بعض فرسان (الفصح) ، يدفعون
بحوا ، والشر بطل من عيونهم ، تصرحت مدعورا :
— الفرسان يهاجموننا .

انطلقت اعدو نحو الجمال ، في حين راح (اورم)
و (كويك) يصلبان فرسان (الفصح) يبران سدفياتها ،
حتى سقط نصف العرسان صرعى ، وفر النصف
الآخر ، إلا اننا لم نلت ان فوحنا بعريق آخر من
الفرسان ، يعملى الاسوار ، ويهاجمنا مطما عسسا
السهام في شراسه ، فقال (كويك) في حرم :

— اتركوا لى امرهم .. سألقى هؤلاء الأوعاد
دوسا .

قالها وتسلل كقط حذر نحو الاسوار ، ورايته
يدس احد أعماه في قاعدة السور . ثم يتراجع في
حفة ، هاتفا :

— اسرعوا .

لم يكذبهم عماره ، حتى دوى انفجار وهيب ،
وسقط بعض (الفصح) قتلى ، في حين جعلت حبال
المقص الآخر ، وراحت تعدو متراجعه ، في حين
انطلقنا نحن على ظهور الجمال ..

وصاح أحد (الأباتى) في دعر :

— إنهم يطاردوننا ..

النفث لأجد فريفا من (الفصح) يطاردنا ، ولم أكد
اعتدل حتى رأيت حيننا من العرسان ينفص علينا ..
لقد وقعنا بين المطرقة والسندان ..

وهوى فسى رعا وباسا ، لولا ان هتف كاش
(اورم) :

— يا إلهى ! .. هؤلاء الذين أمامنا ليسوا من
(الفنج) .

اسرع اصع مطاري المغرب على عيني ، واتطلع
إلى حيث بشر ، فوق بصرى على اعلام (الأباتى
الحصراء ، وعليها تلك الكتاب العرابيه . النى
توسطها صورة عرش (سليمان) ..

واسرعا نحو فرسان (الأباتى) ، ولم نكد ملعمهم
حتى بررت من بينهم امرأة فى بغاب أبصر ، وثوب
ناصع البياض ، وسالنتى بلفتهم :
— من القائد هنا ؟

أشرت إلى (اورم) ، الذى يكاد يسقط من فوق
حمته . من شدة الإجهاد والإعناء ، فحاطبه فى لمحة
تشف من أصلها النبيل :
— ماذا حدث يا سيدى ؟

سالها فى حزم :
— هل لى ان اعلم أولا من أخاطب ؟
رعب رأسها فى اعرار ، وهى تقول فى ترفع :

— أنا الملكة (مجيدة) ، انى الملوك والحكمة
والجمال ، وشعارى على جبينى يطلو بصدقى ..
ورفعت الغاب عن وجهها الغائر الساحر ..
وتراجع (اورم) مبهورا ..
بل مشدوها ومسحورا ..
لقد رأى أمامه حورية من حوريات الجنة ..
رأى حفيذة (سليمان) ..

يمكن القول ، دور أدبي قدر من المصنفه . أن
(مجيدة) قد سحرت (أورم) تماما ..

لقد رأيت وقد سى كل نعه وإجهاده . وهو
يحدث في وجهها القاتل . وحملها الطاعى . قبل أن
يتمتع مبهورا مشدوها :

- أيا في حلم ؟! .. أميرة هي أم حورية من
حوريات الجنة ؟

سألنى (مجيدة) في حيرة :

- ماذا يقول صاحبك ؟

ترحمب لها حديثه بكن أمانه ، مصريح وجهها
بحمره أحمر . وأسرع تسدل اسباب على وجهها
في حياء ، مسح الكاس حرجا ، واعتدل قائلا في
حرم ، ندا وكده محاولة للسيطرة على مشاعره :

- يجب أن نعمل بالهجوم على (الفتح) قبل أن
يستعيدوا جاشهم .

ولكن ، محبته ، أحاسنه في هدوء ، باللعة العربية
التي يجيدها (أورم) :

- يجب أن استشير مجلى أولا .

ثم التفتت مستطرده في لهجة أميرة :

- أين عمى الأمير (جوشيا) ؟

وتقدم نحوها فارس شاب ، منبس البياض ،
يرتدى حلة شرقية ثمينة ، ودرعا وخوذة كهرسان
الغرب ، وسالته (مجيدة) :

- لقد تهدم جزء من السور كما ترى ، امتحدها
فرصة مناسبه لعمرو (الفتح) ، أم انه علينا أن
ننتظر ، حتى يهاجمونا هم .

حدث في وجهها بدهشه ، وهتف مستكرا :

- هل أصدك الجنون يا ابنة الملوك ؟! .. إننا
لا نريد على حمسمائه رجل ، أما هم معددهم يربو
على العشرة آلاف .

هتفت غاضبة :

- ولكنى أرى في مهاجمتهم ، فمن يتعمى ؟
صاح بعض رجالها يؤيد قولها ، إلا أنها أصافت
في مرارة :

- يؤسنى ألا استطيع هذا فعلا ، مر جالى لم
يخلقوا للحرب والقتال .

سرت همهمه عاصية بين رجالها ، واستل عمها
سيفه ، هاتفا في صوت جهورى :

— أبا تعرفين مدى شجاعتى وحرأتى ، وتعمس
كم قتل هذا السيف من (الفنج) و ...

قاطعه (اورم) فى صرامة :

— أعد سيفك إلى غمده يا رجل .

بدأ العناد على وجه الرجل لحظه ، لولا أن ظهر
ثلاثة من فرسان (الفنج) يتجهون إليها ، وقد أحصى
أحدهم وجهه بهما أصص ، به نفوس للعبيس والعم ،
فتراجع (الأباتى) فى خوف وقلق ، فى حين نفت
(مجيده) قوية متماسكة ، وهى تقول فى حزم :

— إنهم رسل (الفنج) دعائى ماذا يريدون .
أفل الفرسان الثلاثة ، حتى توقفوا أمامنا ،
والموا علينا أسخيه فى أدب واحترام . ثم قال
أحدهم :

— لقد أبا يا (أم السحاشى) واسة (سليمان) ،
لتحدث إلى البيص الثلاثة ، الذين قتلوا العديد من
رجالنا ، وهدموا أحد أسوارنا ، وأرسلوا السرق
والرعد إلى صدور فرساننا .

سأله (مجيده) فى ترفع :

— ماذا تريدون منهم ؟

أجابها :

— لقد سقط رابعهم أسيرا لدينا ، وحكم عليه
كهنتا بالموت ، ولكننا مستعدون للإبقاء على حياته ،
كما فعلنا مع (مطرب مصر) وكاهن (هرمق) ،
مقابل أن يضم البيص الثلاثة إليها ، لا إليكم .

قال (اورم) فى حزم :

— إيا تشكر سلطانكم على عرصه هذا ، وبؤسها
أن اضطربا لقتل عدد من رجاله ، دعائى عن أنفسنا ،
وبحس نعرف بأن (الأباتى) قوم جساء ، ولكن ملكتهم
إمراة عظيمة . كبيرة القلب ، ولقد وصلنا هنا على
مس جمالها ، وعرض خدمتها ، وهذا يضطربا لرفض
عرض سلطانكم ، مع عظيم الأسف .

هر الرجل رأسه متفهما ، عندما استمع إلى رد
(اورم) ، ثم التفت إلى (مجيده) يقول :

— سلطانا العظيم (بارويج) يوجه إليك الدعوة
نفسها ، وأنت تعلمين ما بحمله لك من احترام
وتقدير وتوفير ، وهو يدعوك إليه على الرحب
والسعة ، ويعدك بأن يضعك على رأس روحاته ،
أو يترك لك حرية الرواح بمن تشائين .

قال عمارته الأخيرة ورمق (اورم) نظرف حمى ،
وكانما يعنيه بها بالذات ، قبل أن يتابع :

— أتركى قومك الحساء وانصمى إلينا ، يعتديك
رحابا بأرواحهم . فقد أديت واجبك على خير
ما يرام ، ولولاك لصار شعك ملكا لما مند سواب ،
وحن نعلم أنك قد لحاب إلى هؤلاء البيض ؛ لبهدموا
معودنا بسحرهم ، بعد أن وعدتهم بكنوز وذهب
ملوكنا الأقدمين .

سأله (مجيدة) في خفوت :

— من أحبرك بهذا ؟.. أهو أسيركم الأبيض ؟

هز الرجل رأسه نفيا في هدوء ، وقال :

— لا يا (أم النجاشي) ، بل هو (القط) ..

والآن ما جوابك يا زهرة (المور) ؟

اعتدلت (مجيدة) في مجلسها ، فوق صهوة
حواذها ، وبدت بي على ما أروع ما يكون ملكة ،
وهي تقول في حزم :

— لقد أفسدت شرفي أن أحمى (المور) حتى
النهاية .

ابتسم الرجل وقال :

— لن تحشى بشرفك يا زهرة (المور) ..

سبى ملكا هذه المظلة من الحساء ، ثم يوليک عليها
مرة أخرى ، فصحبين ملكه على أرض تنهبين
بمسالة فرسانها .

وفجأة رفع الفارس الممسع قناعه ، والعصاه على
الأرض بحركة سريعة ، وبدأت — لأول مرة — أساريره
السيلة ، وبشرته الحاسية ، ووجهه الذي يشف عن
سنوات عمره المقارب للخمسين ، وقد أطلق لحبته ،
وتألف قلادة فرعونية قديمة على صدره ، فترجل
إلى فارس الأحرار عن جواديهما ، وسحدا أمامه
هاتفين :

— (بارونج) .. (بارونج) .

وأمام فيص الهيئة المتدبو من الرجل ، لم يملك
إلا أن يحبه في احترام بالغ ، ولم يسمع (مجيدة)
سليته الملوك إلا أن تنحى له ، فرد تحينا برفع
رمحه في عظمة وهيبة ، قبل أن يقول :

— لقد سمعت يا (أم النجاشي) و (زهرة المور)

وبارجال العرب ما قاله حادى بأمر منى ، ويؤسفى
مطاردة رجالي لكم ، مما يليق بفرقه كاملة من
الفرسان أن تطارد أربعة رجال ، ولكنى أمد لكم
يدى ، وأرحو سيلة الملوك أن تعمل صداقتى ،
فليست أحب أن اتورط في معاتلة جيش ضئيل من
الرعاديد ، لا يستحق سوى الإردراء أو الشفعة ،
وإلا فإننى سأنتقم لهدم معبدى ومعودى شر
الانعام ، وسيكون الأسير الأبيض كثر العدا .

ضربت (مجيدة) مقدمة سرجها بقبضة يدها ،
وصاحت :

- محال يا (بارويج) .. لن احضع لكم واعبد
معبودكم ، متخلية عن ديني الحق ، الذي آمن به
(سليمان) وحفدته .. إنه من المسحيل ان تحضع
عقيدته حمة لصمم قد من حجر ، اما رعيته ، التي
اعترف بحسها وحنوعها ، فإنني افصل لها موتا
شريفا ، على حياه هي الرق والعبودية والجحيم ،
واسقامك لمعبودك لا يهمى أو يردى ، مادمت احطمه
في سبيل الله (سبحانه وتعالى) ، حاميا وإلهى ..
واذبحنى لو أن هذا قدرى .

وصمت لحظة ، ثم أضافت في حزم :

- هذا حوائى كملكة لشعب يدين لها بالولاء ، اما
كأمراه ، فانا اشكر لك عواطفك وادبك الجم .

رأى الصمت لحظات ، ثم سالها السلطان :

- اهذا جوابك النهائي ؟

رفعت رأسها في امتزاز ، وهي تقول :

- نعم .. ومعنى ان اعلى هؤلاء الاصدقاء البص
انى احبهم من وعدهم ، فلا معنى لان يلقوا بأيديهم
في الهلكة ، في سبيل حرب حاسرة ، وادكرك بانك

قد ضمنت لهم الحرية والإبقاء على حياتهم ، لو
انضموا إليك ، وكذلك على حياة زميلهم الرابع ،
الذى تحتفظون به أسيرا . ثم إن لديك أسيرا آخر ،
تطلقون عليه اسم (مطرب مصر) ، هو فى الواقع ابن
أحدكم ، ولست اطلبك تصن بالولد على والده .

توقفت منطرة جواب السلطان ، ولكنه بقى
صامتا ، يتطلع إليها ، فالتفت إليها مستطردة :

- اذهبوا إليه ايها الاصدقاء ، واشكر لكم
رحلتكم الطويلة من اجلى ، وسارسل لكم هدية
صحمه من الذهب ، وربما التقينا في حرب قريبة ..
الوداع ايها الاصدقاء .

كان من الواضح انها ترقبنا من خلف بوابها في
اهتمام شديد ، وكأنها تنتظر معرفة ردود افعالنا ،
وكذلك راح السلطان يرافيا بنفس الاهتمام ،
متخللا شعر لحينه الكثرة بأصابعه ، حتى قال كابتن
(اورم) :

- يمكنى ان اتحدث عن نعى ، وعن الجاوبى
(كويك) ، فاقيد نعيينا بالوعد الذى قطعناه
للملكة ، وارفض نكل اسف عرض السلطان ، فمن
نرى ان هذه الملكة الشجاعة تناضل من اجل شعبها
ودينها ، ونحن نفدر كثيرا مثل هذه الحروب .



ولم يكذب قنبر مبهمة حتى نفص عليه بعتة العم (حوشيا) مشهرا
سيفه ، وخلفه بعض الرجال ..

كان من المؤلم والمعبر بالنسبة إلى أن اتحد
قراري ، بعد كان يعني اسصحية تماما بولدي ، من
احل التمسك بوعده لامراه تحكم شعبا من الحساء ،
ولكن السلطان لم ينتظر جوابي ، وإنما قال في اسف :

- كم تميب لو جاء جوانكم نصر هذا ، ولكن
يبدو انكم تحترمون الوعود كثيرا ، وتصحون بكل
مرتخص وغال في سبيل ذلك ، على ابيه حال
استودعكم الله ، منسيا لو ان (محيدة) تحكم شعبا
آخر ، عبر هذا القطيع من الحساء ، الذي لا يستحق
شيئا من مزاياها العظيمة .

ثم مد يده إليها ، قائلا :

- هاتي يدك يا (ام النجاشي) .. سأعود بك
إلى قومك .

دولته كلها اترقبه ، فعادها في رفق إلى حيث
قومها ، ولم يكذب قنبر مبهمة حتى انقص عليه بعتة
العم (حوشيا) مشهرا سيفه ، وحقه بعض الرجال ،
وهو يصيح :

- لقد وقعت يا (ناروح) .. احصع لسا او
بمنلك .

كان السلطان قد تحلى عن سلاحه ، تعيرا عن

حسن نيته ، وهو بفود (مجيدة) إلى قومها ، لذا
مقد احتقن وجهه غضبا ، وهو يصيح :

- ايها الحنان الحرير .. لو أنى أحمل سيمي
للقى أحدنا مصرعه حتما ..

ثم التفت إلى (مجيدة) ، مستظردا :

- هذا الحلق الوضيع يشف عن جس .. هو سر
احتفارا لشعك هذا .. أتري كيف يحاربون رجلا
اعزل ؟

صرخت (مجيدة) في صمها حائقة :

- أحضس سلاحك هذا يا (جوشيا) .. إنك
تجلب لنا العار بأسلوبك المشين هذا .
ولكن (جوشيا) هتف في عناد :

- الصيد أتم من أن أتركه بهذه الساطة .

مال الكابتن على أذني ، هامسا :

- سامع هذه الحدعة العذرة ، وساطلق النار
على رأس (جوشيا) ، أعدر هذا ، لو هم يمس
السلطان بأذني سوء .

لم يكذ الحاربيش (كويك) يستمع إلى حديثنا
حتى وضع الفكرة موضع الصيد على العور ، واطلق
النار بين قوائم جواد (جوشيا) ..

وجفل الحواد مذعورا ..

وسقط (جوشيا) أرضا ..

وفي غمرة الهرج الذي حدث ، اندفعنا نحو
السلطان ، واحطنا به وبجواده إحاطة السوار
بالمصم ، حتى أخرجناه من وسط الحصار ،
وسلمناه إلى حارسيه ، المدين كاد ملباهما يتوقعان
من شدة خوفهما على سلطانهما ، الذي قال لهما
في امتنان :

- إسي أدن لحرايكم وشجاعكم بحياتي .

ثم برع قلادته المرعوية الذهبية القديمة ،
ووصفها حول عنق الحاربيش (كويك) ، واطلق
على جواده عائدا إلى حصه ، بصحة حارسيه ..

وهتفت (مجيدة) في صرامة :

- سنتخذ طريق العودة .

وكالكلاب المدعورة ، وضع رجالها أذانهم سر
سيقانهم ، واطاعوها صاغرين ..

وكان علينا أن نبدا مرحلة جديدة ..

ومحيقة ..

لم تكن تنصور ابدا ان طريقا من السهول إلى مرتفعات (المور) يمر على هذا النحو . فقد كان الصعود أشق مما يمكن تصوره بكثير . فالواضح ان هذا الطريق لم يصمعه بشر . وإنما صمعه تدفق المياه من المرتفعات إلى اسحيرات ، التي كانت تغطي فيما مضى السهول كلها ، فل ان تنصر على مساحه محدوده من الماء . لا يتجاوز طولها الخمسه والعشرين كيلومترا ، ولا يزيد اسعاعها على الخمسين كيلومترا ..

وهذا الطريق يتسع في بدايته ، بحيث يسمح لسير ثلاثة حياض متجاورة . ثم لا يلبث ان يضيق . حتى يكاد لا يتسع إلا لحواد واحد . وترتفع على حاسي الطريق حوائط صخرية إلى عدة مئات من الأمتار ، وتسدو السماء فوقها كشرط أررق ، وتمحى الشمس عن إلقاء ضوءها وسط ظلمة الممر . إلا لحظات معدودات ، في منتصف النهار ..

وبين حين وآخر يخفى أحد الحدارين . تاركاً هوه سحيقه ، تتجاورها الحياض وهي ترتفع . يمر شرط الممر الضيق . هذا إلى جانب عشرين

البوابات ونقاط الحراسة ، التي تصافرت مع عوامل الطبيعة ، لتمنع (الفصح) من غزو بلاد (الأباتى) ، على الرغم من حن وضعف ألفه الأخيرة ..

وسار بنا الموكب الضخم ، يتقدمه سلاء (الأباتى) على صهوات حياضهم ، تلبهم فرقة مسلحة ، توسطها الملكة (محبدة) ، ثم الحاشية والباطل . وبحر بينهم ، وفي النهاية فرقة مسلحة أخرى ، عليها حمايه المؤخرة طيلة الوقت ، حتى يلما بوابه (المور) في نهاية النهار ..

وكان المشهد رائعا ..

سلسلة من جبال تحيط بسهول واسعه معتدة ، تناثرت فيها المرروحات والساعات وأشجار النخيل . وبينها أقمعت بيوت ومساكن مسانده . تحيط بكل منها حديقة ابيعه ، وعلى مدى البصر هناك بحيره فضيه ، البعت حولها اكواح الرعاة والرباع ، على نحو يؤكد ان (الأباتى) ، على الرغم من عيوبهم ، ملاحون وزراعه مهرة ..

واستقبلتنا جماهير المدينة استقبالا حارلا ، وراحت تهتف بحياة الملكة والقواد ، حتى يلما العصر الملكي . ذا القباب الذهبية ، الذي اتبعت

لى ويارته من قتل ، ولم يكذب سحر بنا المقام فيه ،
حتى سأل (جوشيا) (مجيدة) في غلظة :

— هل سيميم ضيوفك في مساكن الحجاج بالمدينة
الغريبة ؟

كان يحدث بأسلوب اسمرارى متعمد ، إلا أن
(مجيده) بدت هادئة ، وهى تحبه في ساطة :

— لا يا عماء .. سيقيمون هنا في قصرى .. في
جناح الضيوف .

احتقن وجهه غضبا ، وهو يهتف مستنكرا :

— في قصرى ؟! .. محال .. محال .

سأله في ضيق :

— لماذا يا عماء ؟

أجابها في سخط :

— اسببت لك لم تتروحي بعد ، واسى لا اقيم

بالقصر لاسهر على حمايتك ؟

أجابته هى في حزم :

— لم أس هذا ابدا ، ولكنى استطيع السهر

على نعى ، وارى أنه من الواجب أن يفيم ضيوفى

في مكان آمن ، إلى حوار امعتهم .. اذهب انت

لتحصل على قدر من الراحة ، وسأرسل لك طيبى

الحاص ، ولا تسى أن تشكر الله على نجاتك من
المهالك .

امنع وجه (حوشيا) لتلك السخرية المعلقة بإطار
مذهب أبيق ، وبدأ وكأنه سيجيب بعبارة قطة ، لولا
أن غادرت (مجيدة) المكان في خطوات سريعة ،
فضرب نصسته في الحائط في غيظ ، وانصرف حلقها
باقما حاقدا . ولم ينس في انصرافه أن يرمق
الجائش (كوبك) بنظرة قاسية ، تشف عن حمله
الحاص بحسره ؛ لأنه المسبب في وقوعه من فوق
صهوة جواده ، وإصابة صلوغه بذلك الكدمات ..

ولكن هذا لم يقلق (كوبك) كثيرا ..

لقد كان هناك أمر آخر يقلقه ..

أمر الكائن (اورم) ، الذى كان قد أصيب بحرح
سطحي ، في أثناء نصف سور (الفبح) إلا أن تلوث
هذا الحرح قد أصابه بحمى ، راحت تتزايد
تدريجيا ، حتى اشتدت وطأتها عليه مع بلوغها
العصر ، فلم يكن ماعلا إلا أن يعساه إلى فراشه ، ورحل
أدوية بالماء واللس ، حتى يشفى من الحمى ..

ولقد اهتمت الملكة (مجيدة) بأمره كثيرا ،
وارسلت تسأل عن صحته مرتين ، طوال الليلة

التي سهرتها إني حواره ، ولم تكذ تشرق الشمس
حتى اصطاحت طيبها العاص إلى حجرة أورم .
وسألتني في قلق :

— هل سيحيا ؟

اجبتها في خفوت :

— لا يمكنني البت في هذا الأمر حتى الآن . فإنا
أحس أن يصاب بالنسهم من تلوث الحرج .

ادهشني أن تعثمت في جزع :

— انقذه أرحوك .. إنك ما تسمعك لاحه .
وسأمنحك كل ما تطلب .

ثم انتهت فجاء إني لهما النالعه ، فأضامت
في خفوت :

— اعمر لي ، بعد سبب انه صديقك ، وانك
لا تدخر جهدا لمدادائه .

طمأنها قائلا :

— سأبدل أقصى جهدي يا مولائي .. اطمئن .
أما طيبها . فقد راح يساري معي في وصف
أنواع من الأدوية والعلاج ، لو تناول منها (أورم)
حجرة واحدة لفصى بحبه على الفور ، لولا أن رحت
استبدل بها أنا أدوية أخرى منطقية ..

ومرت ثلاثة أيام بيطنة ، أملاّت فيها نفوسنا
بالشك والقلق ، إلا أن الكابتن لم يلبث أن تمائل
للشعاع ، ولم تقو المنكه على كتمان سعادتها وسرورها
بذلك ، وراحت تولى (أورم) المرشد من العطف
والحنان ، حتى أنه لم يكذ يعادر فرائسه سليما
معاني ، حتى راح يحتلّي بها كثيرا ، ويتبادل معها
الاحاديث الهامسه ، مما أصابني بالقلق ، فقلت
له مرة :

— حذار يا صديقي .. من الخطر على شاب
مثلك أن يوثق صلته بالملكة .

فهقه ضاحكا ، وقال :

— اطمئن يا صديقي ، فموانين هذه المملكة تحتم
رواح الملكة من أحد أقاربها ، ومن المستحيل أن
تربط بي أنا .

ثم أضاف في جدية واهتمام :

— قل لي : هل بلمك أحبار عن (هجر) أو
ولئك (روبريك) ؟

قلت في ضيق :

— يلوح لي أنه من الأحدي أن تلعني أنت
ما لديك من أخبار ، فإنت لصيق بالملكة ، وتعلم عنها
ما يحمله حتى عمها .

ابتسم واجاب :

- لقد ابلغنى ان كليهما في صحة جيدة ، وانهما يعاملان معاملـة حسنة ، ولكن السـطان (بارونـج) يعزم التصحية ر (هجر) بعد اسـوعين ، وانا اعترم بدل حـائى . لو اقصى الامر ، فى سبيل مع هذا .

وصمت لحظة ، ثم اضاف :

- وهذا هو محور احاديثى الهامسة مع امـحدة) ، بخلاف ما تصورت انت .

قلت فى اهتمام :

- يحب ان يحرك على الفور ، بعد تم لك الشفاء ، ولم يعد هناك مـبور للتـكؤ .

قال فى حماس :

- سأبدل اقصى ما يمكنى لتحـيص (هجر) ، حتى لو اقصى الامر ان ابدله بـعـى ، عند سلطان (الفـج) .

ومال على ، مستطردا بمزيد من الحماس :

- استمع الى .. ستعـد . مجيده) مجلسها الاكر بعد ثلاثة ايام ، وستحـكم حـلاله (الفـط) ، واعب الطـر انـها ستحـكم عليه بالإعدام ، وبـعـدها

سعرض ما لدينا ، لنصل الى قرار حاسم .

واعتدل فى حزم ، مستطردا :

- وليبدأ عملية الإنقاذ .. مهما كان الثمن ..

ودوت العبارة الاخيرة فى رأسى ..

« مهما كان الثمن .. »

وارتعف جسدى فى خوف ..

٥ - الحياة والموت ..

لم يرق لى أبدا ذلك الأسلوب ، الذى حصرنا به
مجلس الملك ، بعد مرور تلك الأيام الثلاثة ..

لقد قادنا الحرس إلى المجلس ، كما لو أننا نحن
السحباء ، ووجدنا الباب من (الأباتى ، هناك ، وقد
جلسوا فى صفوف مستطمة ، أمام (محبدة) ، التى
جلس على عرش من ذهب ، ينتهى ذراعاه براسى
أسدين ، وهى ترتدى ثوبا من حنوط القصة اللامعة ،
وتحوى وجهها نضاع موشى سحوم فضية ، وقد
أحيطت فمه رأسها بدائره من الذهب ، تتوسطها
ياقوتة حمراء ساطعة ..

وعلى الرعم من حنودها الضئيل ، تدب رهرة
(المور) فاسة ، ساحرة ، مهيبة ، وقد وقف حنودها
المدحرج بالسلاح خلف عرشها ، فى حين أحاط بها
فوادها وصناطها وقضاها . فى ثيابهم الرسمية
الأسنة ، وعدد من وصيغاتها فى أبهى حللهم ..

وظالت محاكمنا ، وانكر (القط) النهم الموحدة
إليه ، وتم استدعاءنا للشهادة ، وفى النهاية صدر
الحكم بإعدام (القط) ، حراء حيانه ، ومصادرة
ممتلكاته ، وأن يصح روحته وأولاده عبيدا أرقاء ..

كذلك صدر الحكم على كل من شارك (القط)
فى مؤامراته بالجرد من الأملاك ، والالتحاق
بالجندية ..

وانتهت المحاكمة بين نقيب وعويل المهمين
وأقاربهم ، وأصابتنا الدهشة من أساليب (الأباتى)
وأحكامهم ، وهتف الكابتن مستنكرا :

— أى حير فى أمه يعاقب محرموها بالجندية بدلا
من السجن .

غمغمت محاولا تهدئته :

— هكذا أساليبهم .

هر رأسه فى قوة ، مستنكرا ومعتصا ، إلا أنه
لزم الصمت ، ولم يشر إلى هذا الأمر مرة ثانية ،
حتى حانت الاستراحة ، فتقدمت نحو سليله
الملك ، ووصفت حاتم (بلعيس) على وسادة
حريرية ، قدمها لها أحد صناطها ، وأبا أقول :

— أبا سليله الملك ورهرة (المور) .. يشره
أن أعيد إليك حاتمك ، الذى يحمل دلائل الثقة
المتبادلة بيننا ، والذى استطعت بواسطته حمل
زملائى وأصدقائى على اصطحابى فى رحلتى إلى هذه
الجهات البائسة ، إلى الحد الذى أوقع بأحدهم فى
أسر وعبودية (الفنج) .

تناولت (محبدة) الحاتم ، وألقت عليه نظرة
سريعة ، ثم أرتته لكهسها . قبل أن تقول في هدوء :
- شكرا لك أن أعدت هذا الكر الأثري العالى
لى ولرعتى أيها الطبيب .

ووصفت الحاتم في إصبعها ، واستطردت :
- أنتم تعرفون قصينا أيها السلاء . . (الفصح)
يحيطون بنا ، وينهددونا بالويل والثبور وعظائم
الأمور ، وكما أحرقت الطيب من قبل ، إبنى اسمى
إلى هدم معبد (الفصح) ومعبودهم ؛ لأن هذا - فى
عميدتهم - نذير لهم بالهجرة من هذه الأرض إلى
بلاد أخرى ، طبقا لنبوءة وثنية قديمة .

قاطمها (أورم) :

- معذرة يا رهرة (المور) ، ولكنك سمعت
مثليا (نارويج) ، سلطان (الفصح) يهدد بالانتقام
لهدم معبده ومعبوده .

ترددت هممه دمر ودمر من الحاصرين ، إلا
أن (محبده) طلب على هدونها ، وهى تقول :

- الأقوال غير الأفعال ، وهؤلاء الوثنيون
يؤمنون بالسوءة إيمانا مضطحا ، وسيدفعهم هذا إلى
الهجرة فور هدم معبودهم ، حتى ولو شاء ملكهم
غير هذا .

ثم اعتذلت ، مستطردة :

- والآن . . هل تقسمون على خدمتى ؟

مصت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول الكابتن :

- ينبغي أن نعرف المطلوب منا أولا :

قالت عالية الرأس :

- اقسموا على خدمتى ، والحرب من أجلى ،

والحصول لفوائضى ، وأن تذلووا أقصى جهدكم

لتدمير معبد (الفصح) ومعبودهم ، ولكم بعد ذلك

مطلق الحرية فى السوء أو اندهاب حيثما تشاءون ،

مع مكافأة تبهر الأنفس .

ساد الصمت لحظات أخرى ، بدا حلالها أن

الكاشن يفكر فى عمق ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- واية مناصب سنشغلها لو فعلنا ؟

أجابته فى حزم :

- ستكون القائد الأعلى لهذه الحرب ، وستحار

أنت المنصب الذى يعمل فيه زميلك .

سرت رمحرة غاضبه بين قوادها ، وارتفع من

بينهم صوت يقول :

- أتعين أنا سنضطر لطاعة هؤلاء الأجانب ؟

التفتت إلى مصدر الصوت ، وقالت فى صرامه :

- نعم . . ستفعلون هذا ، إلا إذا استطعتم إعداد

تلك المواد المفجرة واستخدامها ، وعدم جزم من
أسوار (هرق) مثلهم .. هل تستطيع هذا
يا عماء .

بعد العم (حوشيا) حاجيه ، وصمت في عصب ،
في حين سأل الكابتن الملكة في اهتمام :

— لقد حميتي قائدا على جنودك يا مولاتي ،
ولكن احترسي ، هل سبطينوسي ؟.. هل يحمل
كل منهم سلاحه ؟.. ثم من هم جنودك ؟

لظمت إليه لحظات في صمت ، ثم اجابت في
حزن :

— لا بعكسي معك جوابا مطعيا ، بالسنة
للسؤال الاول ، سيعود امره إليك وحدك ، اما
باسمه للسؤالين الآخرين ، فلو اجمع انه كان لحداتي
وامهاتي جنود اشداء فيما مضى ، اما الآن فجنودنا
ضعفاء حياء ، والسلاح لا يكاد يكفي ثلثهم ، وهو
لا يعدو الرماح والسهام والاقواس .. و ..

احسق صوتها في حلقها ، حتى انها لم تستطع
إمام حديثها . ثم لم تلبث ان اعجرت بفتة باكية
وسط محسها ، فسمعت الحاويش (كويك) إلى
جوارى يتمتم :

— اللهم عاون هذه الملكة الوحيدة المكوبة
بشمها .

وهنا نهض الأمير (حوشيا) ، واتحه إليها ، وركع
أمام عرشها ، وهو يقول في صوت حمل الكثير من
انفعاله :

— لمادا تحزنين بهذه العنارات يا سليله الملوك ؟
السنا في حمى (سليمان الحكيم) ؟
تمتمت من وسط دموعها :

— (سليمان) لا يحمي إلا من يحمون انفسهم .
أشار إلى صدره ، قائلا :

— اليس لديك فواد شحمان ؟.. اليس لديك
عمك وابن عمك ؟

غمغمت في مرارة :

— وماذا يفعل القادة بلا جنود ؟
قال في حدة :

— لقد رايت بعكك كيف كنت على وشك دبح
(ناروح) ، لولا تدخل ضيوك البيض .

انفضت في مجلسها ، وقالت في صرامة :
— وكنا سنخسر شرقنا أيضا يا عماء .
ثم رفعت ذراعها في حدة ، هاتفة :

— لقد انفض المجلس ، ولبحصر الكاهن ليقيم
البض امامه .

برز من خلف العرش رجل مهيب الطلعة ، واضح
الوقار ، تلتصع تحت لحبته البيضاء الجواهر
والاحجار الكريمة ، ويحمل في يده اسطوانة ورقية
ملفوفة ، كتب عليها كل قوايس (الاباتى) ، مد عهد
(سيمان الحكيم) ، ووضع الرجل الاسطوانة
الورقية اماما ، وطالبا بالغاء القسم ، فقال الكاهن
في حزم :

— قبل ان نقسم ، نحب ان نؤكد ان ولاءنا الاول
لوطننا وملكنا . ثم انسا نريد تعهدا من الملكة
بمساعدة على ابعاد رميلنا الاستد (هيجر) ، وابن
الطبيب (رودريك) ، الذى يطلقون عليه اسم (مطرب
مصر) .

اجابت الملكة بلا تردد :

— لكم هذا .

وعندئذ اقمنا قسم الملكة ..

اعتدنا مع مرور الوقت يوم القيلولة ، الذى
يعدسه شعب (الاناتى) كثيرا ، وفي يوم القسم ،

استيفت في الرابعة عصرا ، على صوت نباح
(فرعون) ، منهت استطلع الامر ، ووجدت امامى
رجلا يرتجف خوفا من الكلب ، فسألته في صرامة :

— من انت ؟

اجابنى في سرعة :

— اننى رسول الملكة ، وهى تسال عما اذا كنتم
ترعون في مرافقتها الى مكان لم تروه من قبل .

وافعته على الفور ، والسميت مع (اورم) و (كويك) ،
ورافعنا الرسول الى فناء مهجور خلف القصر ،
حيث وجدنا الملكة فى انتظارنا ، مع ثلاث من
وصيقاتها ، وعدد من الرجال يحملون المشاعل ، ولم
تكذ ترانا حتى رفعت يديها ، وانتدريتا قائلة :

— لا ريب انكم قد رايتم الكثير فى حياتكم ، عبر
رحلاتكم المختلفة ، ولكنى ساريكم اليوم اعرب شىء
فى حياتكم كلها .

تبعناها الى بهو كبير ، فى نهايته باب صحم ، رفع
الرجال مراليجهم ، فعبروا الى ممر طويل ، منحوت
فى الصخور ، واغلق الرجال الباب خلفنا ، ومصينا
فى الممر حتى بلغنا مغارة ..

بل هى اصحم مغارة رايناها او سمعنا بها من
قبل ..

وقالت (مجيدة) ، وهى تلوح بمشعل فى يدها :
— ها هو ذا كهف (المور) ، الذى نعتقد انه كان
معقل اجداد (الفصح) فيما مضى ، اما هذه الحدران
والاطلال هناك ، فقد كانت محاربههم ومعاندتهم ،
ويكن رثرا لا حطم كل هذا ، ودفعهم إلى الهجره ..

تصاها ثابته إلى أعماق الكهف الهائل ، ومشاعلا
تدو داخله كبحوم حافته ، عاجزة عن تبديد ظلمته ،
من شدة صحابه ، حتى بلغا مكانا به اطلال واعمد
متهدمة وتتوسطه عدة تماثيل محطمة ، معطاه بطعة
كثيعة من الأثره ، لم تحف تماما شكلها النسبه
ب (أبى الهول) ، فتشهد (أورم) ، وقال :

— ليت (هيجل) هنا .

وبعد فادسا (مجيده) إلى سع بتدقيق فى قوة ،
وقالت فى أسف :

— كان (الفصح) يستخدمون هذا الكهف كمحرن
للمؤن ، فى حالة الحصار ، ولقد حاولت إتساع
شمى باستخدامه لهذا الغرض ، ولكن كل من
الكار يتردد فى التضحية بعض إتاحة كمحرون ،
وهكذا لم يقدنا شئ من الموت جوعا ، لو احتل
(الفنج) سهولنا .

سارت أمامنا ترينا إسطلالات الخيل ، التى كان
(الفنج) القدماء يحفظون فيها حيادهم وعربائهم ،
ورحبا بمر عدة ممرات ، انتهت إلى طريق واسع ،
فى نهايته جدار أبيض ، لم يكدره اتساع المنكة حتى
علا الرعب وجوههم ، فتقدمت هى إلى الجدار ،
وبرعت منه حجرا كبيرا فى سهوله ، وقالت
لوصيفاتها :

— كلكم تعتقدون أن هذا الجدار يسكنه الجن ،
وتحوم حوله الأرواح ؛ لذا فسايركم هنا فى حراسة
الرجال ، وسأصحب الصيوف إلى داخله ، لآئت
لكم خطأ هذا الوهم .

وتناولت يد (أورم) ، وعرب معه ثمرة الجدار
فى هدوء ، وتعنهما أبا والحاوئش ، فوجدنا أنفسنا
فى كهف آخر ، ترتفع حرارته قليلا ، وسالها الكاتن :

— ما هذا المكان ؟

أجابته فى هدوء :

— مقبرة ملوك (المور) القدامى .

سرت فى حسدى رهبة من وقع الحواب ، ورحبا
سير وسط السكون ، ووقع أقدامنا يبدو واضحا
على الأرض الصلبة ، والحقافيش تحوم حول ضوء
المشاعل مضطربة حائفة ، وترطم بالحدران ، حتى

عزبا المكان إلى ما يشهه ساحه قتال ، في مواضعها
عرش صرح من الحجرة ، اتحت إليه مجيده ،
ورفعت مشعلها أمامه ، قائلة :
- انظروا .

بدت لنا كومة من العظام البشرية فوق العرش
البحري ، يعلوها نوح من الذهب ، وأمام العرش
صولجان وحوائم وحلى من الذهب والمجوهرات ،
وحوله عدد صرح من العظام والحمائم البشرية ،
أسفل كل منها انحنى انحنى كسرس بها أصحابها
في الدنيا ، وإلى حوارها أول من الذهب ، تكتظ
بالحصى والاعلاد والاحجار الشمسية ، وأكوام من
نقود فضية وذهبية قدم عندها ، وطل بدارلها ،
وماراسا محسده مدهوش مشدوهين .
أشارت إلى كل هذا ، قائلة :

- اجلس على العرش هو الملك ، وحوله صراطه
وحراسه وسأزه ، وقد دبحوا إلى حوار حشته ،
سبهروا على رعبته في الحياة الأخرى ، وهذه
حليهم ومجوهراتهم .

ثم أشارت بيدها ، مستطردة :
- هيا لنشاهدوا باقي الملوك .



ورفعت مشعلها أمامه ، قائلة : - انظروا
بدت لنا كومة من العظام البشرية فوق العرش البحري

رحنا سفل من عرش إلى عرش ، ومن كبر إلى
كبر ، حتى أصابنا السأم من تكرار المنهد ، ولم
يثر انتباهي سوى أبيه احتشدت بالآب جراحه
قديمه ، وعلمت أن العظام أنى أمامها هي عظام
طيب أحد الملوك ، فملأ حبس بعض هذه الآلات
انديبه ، لفريها بالآلات الحديدية ، وشعرت أمحيده
بما أصابنا من تعب ومل ، فقالت :

— سمود الآن ، ولكن عي أن تعلموا أن هذه
الصخرة الصخرة أمامنا هي الحاجز الذي يفصلنا
عن معبود الفصح ، ونحن نحر عن اجتنابها ،
ولا نعلم إلى أي مدى تمتد .

عند أدراجنا من العظام والحماحم ، وفي طريق
العودة سال الكابتن الملكة :

— ولكن أن تدور مودكم حاليا يا سيدتي ؟
اجابته :

— في الحارج ، ثم اكشف هذا المكان إلا مسد
أعوام قليلة ، ولكن ناسسه إلى أتمنى أن أدين في
السهول ، لأنني حبانى الآخر بين الحشائش
والزهور .

ومحاة انطعا المنسل الوحيد لدينا ، وساد الظلام
تماما ..

وسط العور ..

كان موقفا مرعبا نحو ، أن نجد أنفسنا وسط
الموتى ، في ظلام دامس ، ولقد صاحبت محيدة ،
مدعورة :

— يا إلهي !! .. نسينا أن نحضر مصباحا آخر ..
أسرعوا ، فما رلنا بعدد من مدخل الممره .

راحت بعدو ممسكه بيد الكاس ، وانا وأحاربتي
سعر حنهما ، في محاولة للحاق بهما ، وسمعنا
الكابتن يهتف بنا :

— انصبا في مكانكما ، سمود إليكما ، ولكن أظف
سبحه من وقت وآخر : لسعر مودكما في سر .

اجابه الجاوبش (كويك) :

— سنفعل يا سيدي .

تردد صدى الأصوات من حوسا ، فارتجف فلى
رعنا ، وأصق (كويك) صحكه عصبية ، وهو يقول :

— ليس للموتى أصوات .. إنما هو صدى
أصواتنا .

حاولنا أن نغنى في أماكننا ، كما أمرنا الكاس .
ولكن الرعب لم يمكنا من هذا . فرحنا بقدم في
بطء ، وارتطمت قدم الحاووش بحمومة . وسقط
أرعب ، وأصق صيحه رددت الحدرا صداها ،
فاحسب انفسا في رعب ، وحلينا بهت لحظه ،
بدت لنا أشبه بدهر كامل ، فس ان يهتف (كوبك) :
— يا إلهي ! .. لقد سيب أنى أحمل في جيبى
علته نعب ..

أخرج العلة من حبه ، وأشعل أحد أعوادها .
ثم شهق مبهوتا ..

بعد رايب أمما مدحا ذا درحات ، لم ينه إليه
من قبل . وعلى أول درحاته ، كانت أممجة
دراعى الكاش ، الذى انحنى على شعنيها ، وأصق
بهما شمس . وهى تترك رأسها على صدره ، دون
أن يبدو منهما حركة واحدة . وكأنما استحالا إلى
تمثالين من الرخام ..

ثم سعل (كوبك) ، وهتف :
— كم يسعدنى أن مثرنا عليكما يا كابتن ..

يا إلهي ! .. هل ففدت الملكة وعيها .. دعنى أعاونك
يا سيدى .

التفت إليه (أورم) كالذاهل ، وصدق في وجهه
لحظات في صمت ، ثم بدا وكأنما يستيقظ مع
(مجيده) من سبات عميق ، وهو يهتف :
— لا .. لا دامى لذلك .

ثم نهض يعاون الملكة على الهوض ، وانظما جميعا
نجتاز الكهف إلى الخارج ..
وعدنا إلى القصر ..

وقل ان سنسلم لهنوم ، قال (أورم) فى لهجة
حالة :

— يا لها من راحة رائعة فى غياهب المجهول ! ،
وبالذات من فارق رهيب بين الموتى العدامى ، وسلبتهم
المعصمة بالحياة والحب !!

بدا لى انه من الافضل ان اواجهه بالموقف بكل
صراحة ، فقلت :

— الواقع اننى قد تصور ، عندما أشمل
(كوبك) عود الثياب ، أنك و (مجيده) كنما ...
ترددت فى إتمام العبارة ، فقال هو فى حرم :
— لم تكن وأهما .. لقد كنت أقتلها ، بعد فخر

الموقف والسلام عواصم الكونته ولم يسطع كتمان
مشاعرنا .

لدت بالصمت لحظات ، ثم غمغمت :

— يسعدني أن ربط الحب بينكما يا صديقي ،
ولكنني أخشى مغبة هذا .

قال كالحالم :

— إنها أحمل عادة وقعت عليها عيسى . في الدنيا
كلها يا (آدمز) ..

لحظتها أيمت من أنه لا فائدة .. لقد ربط الحب
بينهما ، ووقع وثيقة موتهما ..

وارتجف قلبي بين ضلوعي ..

وهوى ..

٦ - الأسود ..

لم تكد تنتهي من تناول إقطار في الصباح ، حتى
أتى رسول أمك مدعونا لمقابلتها . فذهبا إليها ،
وحس سماء عن يسر دعوتها بنا . وعندما احترنا
الممر الطويل ، اندى يعود إلى هو العرش . ملت على
أذن (أوزم) ، وهمست في قلق :

— أسخطك بالخالق أن نترم بكل الحذر
يا رحيل ، وإن تحمي مشاعرك نحاهما الآن .
فسيرا قبون وجهك كما يراقون كلمائك .

نصرج وجهه قليلا ، وغمغم :

— أطمئن .

تمنعت قلعا :

— كم أتمنى أن أفعل .

استقبينا الملكة باسمه الثمر ، مبهمة الأسارير .

وقالت :

— لقد دعوتكم لسبب هام ، فعندما هممتنا
بإعدام (الخط) الحائس . بصرع لنا أن سمى على
حياته ، حتى يمكنه أن يدلي إليها بسر هام خطير .
قد يساعدنا على إنقاذ زميلكم (هيجز) .

هتقنا أنا والكاتبين في آن واحد :

— كيف ؟ !

هزت رأسها قائلة :

— لست أدري ، ولكنني رأيت أنه من الحكمة
أن أرحى قتله ، حتى تستعما منه إلى ما لديه ،
وأشارت بيدها ، ففتح باب حائبي ، دلف منه
(القبط) ونداه معبدتان حنف طهره ، وقدماه
مربوطتان بسلسلة من الصلب ، واندفع نحو الكتشن
مسنعظها ، ولكن الحراس دفعوه أرضا في عنف ،
وقالت الملكة في صرامة :

— ما الذي تريد أن تخبرنا به أيها الحائر ، قل
أن تلقى جزاءك ؟

قال وهو يرتجف :

— إنه سر نال الخطورة يا مولاتي ، فهل اتحدث
به أمام الجميع .

صمتت لحظة مفكرة ، ثم قالت :

— لا .

وأمرت الحراس ومعظم الحاضرين بمعاداة المكان ،
ثم التفتت إلى (القبط) ، قائلة :

— هات ما لديك .

أردرد (القبط) لعابه في صوت مسموع ، وقال :

— الإنجليزى (هيجر) مسجون في المعتد
الكبير .

سألته أنا :

— كيف عرفت ؟

أجاب :

— أنا أعلم هذا جيدا ، واستطيع أيضا أن
أدلكم على طريق حمى إلى المعتد ، يمكننا بواسطته
أن نغد (هيجر) من سجنه . . لقد أظنموا على لعب
(القبط) ؛ لاسى أنسلو الجدران في حقه ويسر ،
وعندما ألقى الفصح الفصح على ، الفواى طعاما
للأسود ، ولكنى نحوت بمعجزة ، واستطعت
الفرار ، بعد أن أصابى محال لنوة بهذا الحرح
في وجهى .

وراح يشرح ما ينمى عمله ، حتى هف الأمير
(جوشيا) :

— إسى اعترض على أن تعحم ملبكنا نفسها في
مثل تلك الرحلة المحفوفة بالمحاطر ، والتي قد
تنطوى على هلاك ودمار .

- اشكر لك قلقك على يا عماء ، ولكن إصراري على حوص هذه الرحلة لا يعود إلى رعيتي في إبعاد الأيضي محسب ، وإنما إلى وجود طريق سري إلى معبد (المصح) ، يسعى لي أن أعرفه ، وعلى الرغم من ذلك فانا أراعتك على ضرورة ذهاني مع حمايته أو حراسه : لذا فانا أرحو أن تراقبني في رحلتي .
أربك العم ، وراح تلمس الأعداد والأسباب .
حتى قاطعته هي في حزم :

- لقد سحنت الفرصة لنشبت شجاعتك ومهارتك وحرارك ، أسي طالما تحدثت عنها يا عماء .. إنك سذهب معنا .. هذا امر .

ولم يكن أمامه سوى القبول ..

قادوا الفط ، عصر اليوم بعينه ، عبر ممرات حبله طويلة ، إلى قمة حبيبه ، تشرف على هبة سحيقة ، يطلع عميقها الفس وحسماته من تعريبا .
ولا سبل إلى بلوغ وعدتها - حسيما رأيت - حيث تكرر السهول ، ولكن (الفط) اتجه إلى حدار صخري . سب المنصب فوقه ، وأراح منه حجرا

كسرا ، ولكنني لما نحوه واسعة ، تمند إلى ممر طويل ، وهو يقول :

- لقد كشفت هذا الممر منذ كنت صبيا ، وليشمي به من يجد في بعينه الشجاعة الكافية .
فهو شديد الوعورة والانهدار .

راح (حوشيا) ينصرع إلى (مجيده) أن تتنازل عن فكرة حوص الممر ، ولكنها اجابت في عناد وإصرار :

- ولماذا اتردد أو احدى ، ومعا حيرة رحالنا في تسلق الحنا ، ثم إن الطبيب ، الذي يبلغ عمره مثل عمر أسي ، لم يتردد في المخاطرة ، فكيف أعمل أنا ؟ هيا يا همي .. لا تتردد .

أسطر (حوشيا) إلى رفعت مرعما ، واتصلت الحال بيت جميعا . وبقدما (الفط) والحاويش .
ثم عدد من متسلقى الحنا ، يحملون أسلالم والمصاسيح والوفود والطعام وحلافه ، ثم الملكة والسكاشر و (جوشيا) ، وحلفهم عدد آخر من متسلقى الجبال ..

ورحبا بهط درجا شديد الانحدار ، انحنى إلى آخر أشد رطوبة عند الشرق ، وكاد (حوشيا)

يقتلني ، عندما أنزلت قدمي ، فثبت بدراعيه
في رقبتي حنينا أسفود . وكذا يقسى حنينا ، لولا
أن أسرع أحد مسهي الحمار يبعده عني . فأصررت
أن يتقدمني ، حتى لا تكرر المأساة ..

وعندما سمع المحذر الثالث ، كان السبع قد سعى
من أحوشا ملعة ، وقسم ألا يحضر خطوة واحدة .
وفضبت محاولات وتأكيدات (القط) في إنشائه
بالعدول عن قسمه هذا ، حتى دلت (مجيدة) في
حزم :

— لا بأس ، فلتبق في مكانك هذا حتى تعود ،
وليس هذا ما تهتف . فلن نباحمك أبو حوش .
تتم في سخط :

— يا بنت من إمرأه لا قلب لها !! .. انتركس عمت
وحيدا ، في هذا الحجر المسكور ، في حين سلعين
أب الصحور كقطعة مسعوره ، مع جماعه من
الأحاب ؟ .. أما كن يسمى أن تظلي إلى حوارى ؟

هتفت في صرامة :

— لبعض إن سلبه الملوك قد حسب عن الذهب
حيث ذهب الغريباء .. لا يا عماء .. لا والف لا .
لم يسعه إراء حرمها وصرامها إلا أن يعود
لمرافقه ، وإن اضطر منسلقو الحال لحمله طيله

الطريق ، حتى بلغا هضبة صغيرة ، تسلت إليها
طلالع العجر الأولى . وانتشرت في أرحائها أشجار
وأعشاب وطحالب . نمت إلى جوار صحور صحمه ،
أشارت إليها الملكة ، قائلة :

— ما هذا أيها (القط) ؟

أجابها :

— إنه طهر المصود انكسر ل (الفصح) يا سلبه
الملوك .. إنه على هيئة أسد صحم ، وديك المصود
هو ديله ، وهذه الهضبة التي نمت عليها كانت فيما
مضى نقطة مراعاة لكهنة (الفصح) . عندما كانوا
يملكون أرض (المور) أيضا . وهناك حشر بهطلون
منه إلى ذيل المصود .

همست (مجيدة) إلى الكابتن :

— يبدو أنه يتصل ب (الفنج) ، عبر هذا
الطريق .

ثم سألت (القط) :

— لماذا جئت بنا إلى هنا ؟

أجابها :

— لسفد الإنجليزى ، فمن عادة (الفصح) أن

يسمحوا للمسجونين بالتحوال عند الفجر والغروب ،
وأرى أن يهبط إلى ديل المعبود ، حتى ينتهي
بالإنجليزى وسعده . والأفضل أن يصحبى الكابتن
حتى لا يستريب (هيجز) .

هتفت الملكة مستنكرة :

— أيها الأحمر .. اتصور أن يحاطر الكابتن
إلى هذا الحد ؟

قال (الفط) في خبث :

— هل تشكين في شجاعته ؟

هتف به الكابتن :

— وبلت أيها الوعد .. إليك أن سىء إلى
شجاعى ، ولكك قد نرمى ندىك إلى مكيدة ،
تسلمنى بها إلى (الفنج) .

صاحت (مجيدة) بالكابتن :

— من الجنون أن تلقى بنفسك من الجبل ،
وانت توقن بأنك ستتهشم أرضا ،

قال عمها في لهجة ساخرة :

— ولكما سمعنا الكثير عن شجاعه الأجانب ، فلم
لا تمنحينهم الفرصة لإثبات هذا ؟

انتفتت إليه نائرة حائه ، وقالت في حدة :
— اليس من الأفضل أن يثبت صاحب الدم
النيل أنه لا يحشى إتيان ما يقدم عليه العرباء ؟

شحب وجه عمها ، وانكمش على نفسه في خوف .
فانسم (اورم) في سحر به . وانحى برع حذاءه .
وهو يقول :

— إبنى افصل اسير ، حورب ، فى المصاص
الوعرة ، ولا يصممكم امرى . فلقد اعتدت المحاطرة
منذ صباى .

غمغمت الملكة في قلق :

— ولكن هذا يفوق كل ما فعلت بالتأكيد .

أما الحاوئش كويك ، فقد انحى بجميع حذاءه
بدوره ، مما جعلنى أسأله في دهشة :

— ماذا تفعل ؟

أجابنى في حسم :

— سأرافق الكابتن .

قلت في عناد :

— بل سأرافقه أنا . فليست أفكما أسنهما
بالمحاطر .

فاطمتنا الكابتن صائحا :

— كفى .. أنا القائد هنا ، وستطيعان أوامري
بلا مناقشة ، وأنا أمنعكما من مراقبتي .
قالت الملكة :

— فليرافقك أحد متسلقي الجبال إذن .

والتفتت إلى أحد رجالها ، قائلة :

— تعال يا (جانيت) ، ورافق السيد ، وأمدك

أنا هب بك أو هب بي ورثك قطعة أرض كسره .
لو أدبت مهمتك كما ينبغي .

أعسا سبعا من الحبال إلى دبل الأسد نحجري .
ورحب استصعب المنطقة بمطري العرب . حتى لاح
بي سبع أسنن عند رأس المعود . ورحبت أن يكون
هجر . إلا أنه لم يست أن رفع عقبرته هب
شجى وخيم ، جعلنى أهتم فى انفعال :

— إنه ولدى .. حمدا لله .. إنه لا يزال حيا ..
آه لو نستطيع إنقاذه أيضا !!

وساب الدموع على وجهي ، فربت أحاسن
(كويك) على ظهري ، وهو يقول :

— اهدأ أيها الطبيب ، ولحمد الله على أنه ما زال
يحمل رأسه على كتفيه .

ويبدو أن تهدئه هذه لم تروا لقط . بعد
قال في برود :

— أيها ساعه إطعم الأسد المقدسة الآن .
و (الفصح) يحفظون بها داخل معبره . عند قاعدة
المعد . ولابد أن يعمل على إيقاظ الأسد اللله .
فسيحتفون بعينهم . وسعدونه قربان لألهمهم
عندما يصبح القمر بدرا .

والها وحاول أن يهبط سيم الحبال ، ولكن (محبده)
صاحب .

— لا .. لن يعود هذا الخائن إلى أصدقائه
الصح . .. أبول أب أولا يا (حبيب) . وسيسعك
الكابتن .

رافسا (حبيب) في فلق ، وهو يهبط السلم ،
منحسما مواضع قدمه في حذر . حتى بلغ الصحرة
المشردة . وهما استدار الكاس بصامحى وبصامح
الكويك . ثم انحنى للملكة . التى شجبت وجهها .
وبدا اضطرابها وحها وأصحب . وهى ترد تحية
(أورم) . الذى اتجه إلى السلم وراح يهبط في
شجاعة وثقة ..

ونجاة انكسرت درجه السلم ، التى بصع ثقله
عليها ..

وهوى من حائق ..

كانت لحمة وثبتت منها قلوبا من سن صلو عا .
ونبتت منها الملكة المحبة بؤاد مرقه الهلع وادبته
اللوغة ، وبدا لنا جميعا ان (اورم) قد انتهى ..
ولكن شاء له القدر ان يحيا ..

وبحرته سريعة ، دمعته إليها غريرة البقاء ،
قربت بده فعلق بدرجة سليمة من درجات اسلم ،
وبشيت بها في موة ، وراح يلهث من مرط الانفعال ،
في حين سميت بحر الصعداء ، ونبتت لو لم يلحظ
الحوشيا دموع الارباع والسعادة ، التي سالت
من عيني الملكة ، ولكن رهرة (المور) لم تلبث ان
حمت دموعها في سريته ، واعطيت في وقعتها في
جسم ، وهي تواصل مراقبه الكائن ، الذي بلغ
موضع (حامت) ، ماخصنه هذا الأخير في سعادة
واضحة ، وراح الانفال يسلمان المنحدر الصحري
الأملس ، حتى بلغا كفتي الأسد ..

وفي تلك اللحظة ظهر الأسد (هجر) ، وهو
يسير الهوينى وبدون شسنا ما في ممكرته ، بكل
السلطة والهدوء ، وهما تقدم إليه (اورم) ،
وامسك ذراعه في قوه ، مالتفت إليه (هيحز) ،
وحدث في وجهه في دهول ، ثم امحنى الكائن على
أذنه . ورأته يهمس بأمر ما ، علمت منها بعد انه

كن سؤالا عن موضع اني (روبرك) ، ثم رأت
الأسناد بلوح بيده في اهتمام ، ويخفي خلف رأس
المعبود ، ومحت دفاق من السكون ، ثم نهأت إلى
اسماعنا أصوات وصيحات عالية ، ورأيت الأسناد
يعدو بكل قواه صائحا في الكائن و (حامت) :
— اهريا .. أنجبوا بنفسيكما من هؤلاء
المفوحشين .

أسرع الناس و (حامت) يسلمان السلام ،
ورأى الكائن بعض (المبح) يسلمون حاميها ،
مأجرح مسدسه ، وأطلق النار على رموس بعضهم ،
فسقطوا صرعى ، ورأى الناقور مصرع رملائهم ،
فلادوا بالمرار ، وهم يظلمون صيحات محبة ..
ولم يكذ الكائن بصعد إليها حتى انقضى بمسه
أرضا ، وأحنى وجهه من يديه في ألم وهراره ،
مرسيت ، محددة ، على كتفه ، وغالب في حنان :
— لمادا يا عمرى ؟! .. لقد كنت شجاعا
صنديدا ، وعدت إلينا حيا ، وهذا بكى .
هتف في مرارة :

— ولكني ركب أحنى وسديمي (هبحر) حلمي ،
ومسلفوني الليلة للأسود ، ولقد أحرمني هذا
بنفسه ، وكان يكتب وصيته عندما لقيته .

لم تحدد ما تحببه به ، ما تمنيت إلى مسلق
الجبال ، وقالت :

— إني محوره بك ما ، حاميت ، وسأحرل لك
العطاء ، وأجعلك قائدا لمسلقى الجبال .

تهللت أسارير ، حاميت ، في معادة ، في حين
سألت أنا الكابتن :

— ماذا حدث مع (هيجز) ؟

أجابني والحزن لم يفارق صوته بعد :

— لم أكد ألقى بأهضرا حتى سأله أن يرشدني
إلى موصع ولدك ، ولكن الحراس راوه بحدوث
إلينا ، فكان ما كان .

ثم التفت إلى (العظ) ، وأمسكه من عنقه .
قائلا في غضب مخيف :

— والآن حذار أن تكذبنا القول أيها الوغد .
لعد أحمرسا أنهم قد اتفوك طعما لأسودهم ، ولكنك
نجوت ، فكيف كان هذا ؟

هتف (القط) في صوت مختلق :

— أرمع بدت عن عيني ، وأقسم أن أحرك بكل
ما حدث .

ترك الكابتن عنق (القط) ، الذي سعل في شدة ،
ثم أجاب :

— لقد حملني (الفصح) إلى مكان إطعام الأسود .
والتقوني من اللحوم المقدمة بها ، ثم رمعوا أبواب
الأسود مسلاسل تجذب من أعلى ، وأطلقت أنا
أعدو نحو التلال ، في محاولة لسيحاة ، ولكن البؤة
بمعنى ، وصمعتني على وجهي بحالها ، التي بركت
في وجهي هذا الأثر ، ودمعتني جيور الرعة في الحياه
إلى أن ألقى بسبي في الهاوية ، فرحت أحذر منها .
وأنا أشتيت في جدارها بأطامري ، ولكن البؤة
اللعمنة أمسكت ساقي ، وحدثني بحالها وأسابيها
إلى الخارج ، ثم تراجعت لثب على مرة أخرى .
إلا أنني رأيت حامة نائمة باررة ، على حاسب أهوه ،
مغرب إليها معه ، وأردت المعلق بها ، ولكنها
انهارت بحب ثقل ، وهويت إلى سرداب مظلم ،
بقيت فيه بهارس ولباسين ، حتى عثرت على طريق
للفرار .

رحما ندرس الأمر طبقا لأروابه ، واستقر راحا
على أن يهبط الكاس والحاوش ومعضن بمسلمي
الحبال ، إلى حيث يحتفظ (الفصح) بأسودهم ، وأن
يرامتهم (حاميت) ، الذي بطوع باصطحابهم ، وأنا

أمع أنا والبقية الباقية من مسلقى الحال عسـ
 بهانه السليم ، حتى إذا ما حان موعد إطعام
 الأسود ، أعددتنا صادقاً ، وتأهبنا للقتال ..

وفي اللحظة المشودة ، ارتفعت نسي ، وأنا
 أشاهد تلك السلة اللعينة ، التي محوى طعام
 الأسود ، والأسناد ، هبـز ، وهي تهبط إلى حيث
 الأسود ، التي صم رثرها الآن ، وهي شـم رائحة
 الطعام الأدنى الطازج ..

ولم يكـد السلة تلمس الأرض ، حتى وثبـ بها
 أ هجر ، وبدا لحظة وثامها سـطـلـو سافيه للرياح
 مرارا ، إلا أن كرامته — على الأرحح — قد منعه
 من ذلك ، فقد توقف معه ، وعقد ساعديه أمام
 صدره ، بعد أن أرحى قـمعه على وجهه ، ووقف
 ينتظر هجوم الأسود في بسالة ..

ورمع (الصبح) باب معارة الأسود ، التي هبت
 لالتهاـم قريستها ..

وفجأة انهالت عليها رصاصاتنا ..

وأصبت الأسود بالدهول ، متراحمـت في دعر ،
 في حين قـرر ا حامت ، إلى حيث الأسناد ، وجدده



وفجأة انهالت عليها رصاصاتنا ..
 وأصبت الأسود بالدهول ، متراحمـت في دعر .

إلى حيث السليم ، مأمق (الفنج) من دهلهم ،
 وانطلقوا بعدوا حلمه ، وقد حو جنوبهم لصباغ
 قربان الآلهة ، ونكر رصاصات سادقنا أعادت إليهم
 صوابهم ، وحملهم يحتنون كالغزال المدعورة ،
 حتى عاد إلينا الأسعد ، ونحونا جميعا في ليلة عند
 معبود (الفنج) ..

وبا لها من ليلة !!

* * *

٧ - مفاوضة ..

على الرعم من فرحتنا باستعادته (هجر) ، مل
 قلبي بحمل الكثير من الحزن ؛ لأننا لم نستعد ولدي
 (روبريك) ، الذي ظل أسيرا لدى (المسح) ، ولمد
 جلس (هجر) بينما اشتمت اشعر ، مهلهل الثياب ،
 واحرج غلبوه ، الذي ما زال كمطاره سلما
 صالحا ، على الرعم مما مر به من أهوال ، وراح
 يحشو العليون بعض ما أعربه إياه من نبع ، وراحت
 (محددة) تتطلع إليه في دهشة وحيرة ، وكأنها
 لا تصدق أن هذا الرث صديق لنا ، في حين سألتني
 هو مهورا :

— من هذه الحسناء الفاتنة ؟

أخبرته أنها الملكة ، موقف احراما ، وهم ملع
 قسعه على نحو غريب ، ثم لم يلبث أن أسسه إلى
 أنه قد مقدها في مبعته ، مراح يحدث معها ملعه
 عربية نصحي أدهشتها وأثار إعجابها ، فرمعت
 حاجبها الجميلتين ، وغمغمت :

— نهئاني بنجارك أيها العربي ، لا ريب أنها
 كانت تجربة شاقة .

هز رأسه مؤمنا ، وقال :

— شمة للعابه . وأنا عاجز في الواقع عن
الشكر والاعتراف بجميل هؤلاء الأصدقاء .

والتفت إلى مستطردا :

— وأظنر بالنسبة لوادك يا ، آدم ، فهو في
خير حال . وبعد أصبحنا صديقين حميمين .
وسمروح ابنه السلطان ، ماروسج ، .. وهذا
السلطان طيب القلب ، كريم النفس . ولقد اعترفين
متيرا على إقتضى الأسود . ولكنه عجز عن مواجته
سطلوه كهذه المعبود . وقد سمح لي بدراسه
شعائره الدينية ، و ...

قاطعته في لهفة :

— وماذا قال ولدي ؟

أجابني في بساطة :

— لقد أسعده كثيرا أن نعلم أنك مسمى إلى
استعادته . وآله ان تلقى كل الهوى والعداوت في
سبيل هذا . وهو شاب وسيم جميل . ما زال يحيد
الإنجليز . وإن عشت عليها لهجة (الفصح) ، وهو
الآن رئيس مرمي أنشيد الممد . وسمروح ابنه
السلطان سئل اكتمال القمر في الشهر القادم بليلة

واحدة ، وستقام الاحتمالات في (هرق) ، وكنت
أتمنى حضورها ، و ...

قاطعته مرة أخرى :

— وهل يحب هو ابنه سلطان (الفصح) هذه ؟

هز رأسه ، مجيبا :

— إنه لم يرها في حياته كلها . ولكنه سمع عن
جمالها وبساطتها . ولعل أسط مزايا هذا الرواح .
أنه سيضمن عدم إلقائه إلى الأسود .

اكتفبت منه بهذا القول . الذي جعلني أنام ليلا
قريب العرس . حتى انقطعي (هجر) في المسماح ،
وهو يقول :

— انفض أنها الكسول ، وحدثني بكل ما لديك
عن رهرة (المور) . ألا ترى معنى أن لعنوها
سحرا عسبا ؟

جلست على فراشي قائلا :

— دع مشكلة سحر عينيها هذه لكائن الأورم .
فهو يحبها .
هتف :

— محبها ؟! .. إني أمنحه كل الحق في هذا .
فلو أنني في مثل عمره . لعرفت في عشيقها حتى
أذني .

قلت في قلق :

— احشني ما احشاه انهار قد وقعت في حبه
بدورها ، وقد معرضهما هذا للقتل . مهو يحالف
تواعد (الأباتي) وعقيدتهم .

هز رأسه متفهما ، وقال :

— سدو لك على حق .. سمححت إليه في الأمر
جديا ، فانا في مثل عمر والده تقريبا .

قلت في انفعال :

— فلك ، ولكن حذار ان يسه محبده ، إلى
هذا .. حذار ..

دعيت الملكة إلى مجلسها الكثير مرة أخرى هذا
العصر ، ولم يكد تدلف ، حتى فتحت أبواب صحبه
في نهاية القاعة ، وتقدم عندها ثلاثة رسل من
(أصبح) ، تدف أحباهم النقص على ملائمتهم
الناصعة ، وهم يبحثون في أدب حم أمم (محبده) .
التي استدلت بمائها على وجهها . دون ان يعيروا
(حوشيا) أو الكهنة أية عناية أو اهتمام ، ورمعت
(مجيدة) كنفها ، قائلة :

— تكلموا .

تقدم أحدهم خطوة ، وقال :

— أيا سلبلة الملوك ورهرة (المور) .. إنني
أحمل إليك رسالة شفهية من مسلماتنا العظيم
(بارونج) .

قالت في هدوء :

— هات ما لديك .

اعتدل وقال مرددا كلمات سلطانه :

— يا « أم النجاشي » .. لقد استعجب بالعرباء
للحاق الأدي مسعوديا (هرمق) ، وأيا حاديه ،
ولقد قتلوا بعض جنودي . واسترعوا من المعسود
قربانه وصحبته ، وقتلوا بعض أسوديا المقدسه ،
وعندنا من كهنة (هرمق) . كما ألقى بعض
حواسبي أنك تدبرين شرا لمعوديا ؛ لذا فأنسا
أملك أني سأبذل (الأباتي) عن آخرهم ، بعد
هذه الأعمال ، وبعد أن أنقبت عليهم طويلا ، ولقد
أحلت زواج أني من (مطرب مصر) بسبب
أحراني لما حدث ، ولن يذهب حرمي ، وتزوج
أني ، ويرتد حساسي إلى حرايه ، إلا بعد أن أثار
لمعودي ، ولا أني على أثر ل (الأباتي) ، ولتطلى
أن المعسود (هرمق) قد نسا بعد مصرع وحوشه ،
وعلى لسان كهنة ، أن راسي سيرقد على سهول

(المور) ، قتل موسم الحصاد ، وهذا يعنى أنى
 أو من يجلسى مسام على أرض (المور) قتل أن
 يأتى الحصاد ، وأمامك الآن أحد خارس ، إما أن
 نخصص لى ، فبسلم الأمانى ، جميعا ، فيما عدا
 حوشيا ، وعشرة آحرس ؛ لأنه حاول أنسالى
 بأسلوب لا يتفق مع الشرف ، ولأن الأحرير
 لا يستحقون الموت بالسيف ، أو أن يناوئى ، فلا
 يسعنى إلا أن أقتل كل رجلك ، عدا العرباء ، وعدا
 حاشيت ، الذى استحق إحرامى وتقديرى ، لما
 أثبه من حرابه ، واستهانته بالموت ، وفى الحالة
 الأخيرة ستسمى كل نساء (الأمانى) ، فيما عدا
 (أم الحاشى) ، ذات القرب الكبير .

انتهى الرسول من تلاوة الرسالة الشفهية ،
 وصمت ينظر الحواب ، فادارت محبدة (عينيها)
 وحده مجلسها ، ورات الرعب المرتسم عليها ،
 فقالت :

— ما رأيكم يا رجال مجلسى الموقر ؟ .. لست
 أحب أن أعود بحواب يعنى مصر شعب بأكمله ..
 ما رأيك يا عمى (حوشيا) .. أقتل أن بضحي
 برأسك ورعوس عشره من القادة ، فى سبيل السلام
 بيننا وبين (الفنج) ؟

هتف (جوشيا) مستنكرا :

— اقترح ملكه البلاد أن يشق عمها ، والأمر
 الأول لبلادها .. هل توقع العشرة الأحرور أن
 يسمعوا هذا القول ، من شففى مليكتهم ؟

أجابته فى هدوء :

— لست اقترح شيئا يا عماء ، وإما أسالك
 رأيك فيما يعرضه سلطان (الفنج) .

صاح فى غضب :

— أحسبه عنى وعن العشرة الأحرير ، وعن
 كل (أنسى) ، أنما يرمض هذا العرص ، وأنما
 سيمقبل (الفنج) ، وسيدهم ، ويهدم معبودهم
 ومعبدهم على رعوسهم ، ليمهد بأحجاره طرقا وسبى
 معابدنا .. هل يسمعون يا رسل (الفنج) ؟

مطلعوا إليه فى استهبار واردةاء ، وقال كبيرهم :

— نعم .. نسمع ، ويسرنا أن نسمع هذا
 القرار ، مشعنا محب الحروب ، وبمصلح جسم
 حلاماته مع الأحرير بحد السيف ، ولكن عليك أنت
 أن تعجل بالموت ، قبل أن نحتل (المور) ، فالشعبة
 ليست وسيلة الموت الوحيد عندنا كما تعلم .

شحب وجهه وهم يحسبون للملكة ، وسعادرون
المكان ، وصاح غاضبا :

— هل ستسمحون لهم بالانصراف ؟ .. لابد ان
مقتلهم بعد ان هددوا واهانوا امير بلادكم .

ولكن احدا لم يرمع يده إلى رسل (المصح) ،
الذين قادروا المكان حاملين القرار ..

قرار الحرب ..

* * *

ثم يكدر رسل (المصح) سعادرون المكان ، حتى
ساده صمت ثقيل رهيب ، يحطم محبة بطيئة أحدثها
حديث رحال (الأباتي) المخلط ، حيث راحوا
بمحدثون جميعا في آن واحد ، دون ان يصفى أحدهم
إلى ما يقوله حاره ، إلى ان يزرر الكاهن من وسط
الجموع ، وهيب يدعو الجميع للصمت ، ثم راح
بعلن اننا نحن سبب ما اصاب (الأباتي) الدين
عاشوا عمرهم كله في سلام ، حتى لدعنا نحن
جيراسا (المصح) ، واثمعلنا سيران العصب في
نعوسهم ، مثاروا وماجبوا وماجبوا ، وقرروا
القضاء على (الأباتي) بلا رحمة ..

وفي نهاية خطبته الحماسية العاصفة ، اقترح
ترحيلنا من (المور) ، حتى يستتب الهدوء من جديد .
وعندئذ شاهدت (حوشيا) بهمس تأمر ما في ادن
أحد أتباعه ، الذي لم يلبث ان صاح :

— لا .. لو اننا طردناهم ، مسبهرون إلى
(بارويج) ، سلطان (المصح) ، بعد ان سبروا
اعوارنا ، وكشفوا أسرارنا ، وصار بمقدورهم
استغلالها ضديا .. يجب ان نعدمهم على الفور .

ثم حرد حسامه في رهو ، مقمّر إليه الخويش ،
وصرب رأسه بكعب مسندسه ، وهو يقول في
صرامه .

— أعد سيفك إلى غمده أيها الوغد .

ولدهشسا اطاعه ابرحل في حروف ، ماندعت
الملكة تقول في أنفعال :

— يا للعار !.. يا للخسة والندالة !.. هؤلاء
مسيوق ، يركوا أوصافهم ودويهم ، وهوا لمساعدنا
وخدمنا ، مهل ساعنتهم على هذا بالقل !.. ثم
ما الذي يحسنه هذا !.. إن الحل الوحيد لنجات من
هد الموقف ، هو أن يقدم معبد المبح ، ويعبودهم
على رؤوسهم .. ونصبوا أن سلطان الفتح ،
على ابرعم من عدائه لنا ، رجل شريف ، يحرم
الشحابة والشحمال ، ويستصاعف بعفته علينا .
لو علينا من يحمل لهم كل الاحرام ، ولن نعطى
عصيه حديدك — إلا النصاء على شعبته .
ولو وامعتم على امراح قبل ابرعم ، مسبارل من
عرشي ، ولتتخبوا ملكة غيري .

صاح احد رجالها في جزع :

— هذا مستحيل !.. انت آخر السلالة
النسلة .

قالت في حزم :

— احاروا واحدة من دم غير سل ، او انضوا
ملكنا بوامي على ذبح الصيوف ، وإهدار شرف
(الاناس) وكرامتهم ، واحتمال هذا العار إلى ابد
الابدن .

دمعت كلماتها الحروف إلى نفوس اعضاء
مجلسها ، فسألها أحدهم في قلق :

— ما حل المشكله في رأيك إذن يا أم البعاشي ؟

رفعت مقابها ، وألفته على رأسها ، وهي تقول
في صرامة :

— الحل الوحيد هو أن تؤلموا حبشا جرارا ،
ببصم إليه كل قادر على حمل السلاح ، وليساعدكم
الغرياء ، ويفودكم إلى النصر ، وإلا ملقنوا بالدمح ،
وبال مروا بساعكم سيايا ، وإن يمحي اسمكم من
سجل الشعوب .

صاح أحدهم ، وقد ملكه الحماس :

— كلا .. كلا .

هتفت بحماس أكبر :

— انقدوا أنفسكم إذن ، فما زال عددكم كثيرا ..

ترودوا بالشحاعة مرة واحدة ، وستجدون انكم
قادرين على احتلال (هرمق) نفسها قتل الحصاد .
ثم نهضت ، وعادرت المجلس في عطية ووفار ..
وتركت القرار الأخير لشعبها ..

انتهى قرار (الآتاني) إلى ان ننتهي على رأس
جيشهم ، وان يطعموا اوامرنا الحربية ، على ان
يكون لهم مجلس من القادة معنا ، له رأى استشاري
محبس . وقد انسأهم رعيهم من القتال كوننا
قريباء ، لا ننتهي إلى وطنهم بصلية ..

وبدأت مهمة تكوين الجيش ..

وكانت اشق مهمة بذلهاها في عمرها كله ..

لقد كان (الآتاني) قوما رراعيين ، لا يمتون
للحرب والقتال بآبة صلبة ، ولقد اغتصروا جميعا
للجيش امرا رهيبا ، فراحوا يرشقون بالحجارة
من نواخذ منازلهم واكواخهم ، ونحن نجتمع الجيش ،
حتى لم نستطع جمع أكثر من خمسة آلاف رجل بشق
الأنفوس ..

وكانت مهمة (كوبك) الأساسية هي ان يعاون
الكاش طوال ست ساعات يوميا ، على شق

سرداب من نهاية مقبرة أجداد وملوك (الآتاني) ،
واسفل الصحرة الضخمة التي تفصله عن المعبود ،
وحتى التمثال نفسه ..

وكانت مهمة شاقة بحق ..

بل هي مستحيلة ..

ثم تدخلت العناية الإلهية ، وعثرا في اثناء حفر
السرداب على معق قديم ، شديد الانحدار ، يوصلهما
إلى هدمهما ، ولكن الرلزل القديمة كانت قد ردمت
جريا منه ، وكان عليهما رمع الصخور ، إلا ان
الكابتن قال للملكة :

— أحشى ما أحشاه الا يؤدي بنا هذا إلا إلى
مغارة الأسود ، ثم إنه سيصاح إلى ما يقرب من
سنة أسابيع لرفع الصخور والأنقاض ، في حين
اننى لا أميل إلى فكرة هدم المعبد والمعبود هذه ،
فهما جزء من جبل شاهق شامخ ، واشك في ان تنجح
متمحراتنا في نفسه ، والرأى عندى ان نجتمع جيشا
من (الآتاني) ، ونهاجم مدنه (هرمق) في اثناء
احتمالات عيد الحصاد ، فلو امكنا هدم أسوارها
وأوابها فسنستطع مهاجمة المعبود ، وهدم المعبد
من الداخل .

استمعت إليه (محبدة) في اهتمام ، وصمت
طويلا مفكرة ، ثم هزت رأسها ، وقالت :
— سأستشير مجلسي ووزرائي .

قصت ليلها يستشير قادتها ، ثم أنت تقول في
سحرة مبررة :

— يقول أعضاء مجلسي الموقر إنها مكره طائشة ،
ولا سبل لتحقيقها ؛ لأن (الآتني) لا يلعبون بأنفسهم
في الهلكة عسنا ، ثم إنهم يرون أن هدم المعبد
والمعبود هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء صراعا مع
(المصح) ؛ ولذلك فهم بأمرؤكم يهدم المعبود والمعبود .
نطلعا إليها في دهشة لعبارتها الأخيرة . فصارت
في مرارة :

— نعم . . إنهم بأمرؤكم ولا يرحوبكم ؛ لأنهم
يعسروكم في خدمتهم لمدة عام كامل ، كما أقسمهم ،
وفي هذه الحالة يحسم عليكم طاعه أوامرهم ، مهدا
ما يستألون عليه أجرهم .

بدأ العصب على وجه الكس ، فاستدركت في
سرعة :

— هذا ما قرره المجلس ، وما أعلمه نيابة عنهم
الأمير (جوشيا) .

أحقتن وجه (أورم) ، وقال :

— وهل هذا رأيك أيضا يا سليلة الملوك ؟
نفهت وقالت :

— ليس أمامي سوى هذا ، ما دام (الأباتي)
يرفضون القتال .

رأى الصمت لحظة ، ثم قال الكابتن :

— لا بأس يا رهرة (المور) . . سيدل قصارى
جهدي ، ولكن لا تلوموا إلا أنفسكم ؛ لو أنهى الأمر
على خلاف ما تحبون ، فالسوءات سلاح ذو حدين ،
ولست أنصور شعبا مقاتلا ك (الفصح) يعادر ملاده
هكذا ، بعد هدم معبده ومعبوده ، مهما قالت
سوءاته ، دون أن يهدم ملادكم موق رؤوسكم . .
ولكن ليكن ما شاء مستشاروك الشجعان .

صمت لحظة ، وكأنها بدرس الأمر ، ثم أصاب
في حزم :

— أريد مائتين وخمسين من مسلقي الخيال ،
تحت قيادة (حاميت) ، الذي عليه أحبارهم بنفسه ،
وسأولى مع الحاووش (كويك) ، أمر المفجرات ،
ومد الأسلاك في السرداب .

أجابته :

— ستحصل على ما تريد .

لم نكد نتصرف من مجلسها ، حتى سمعنا
(جوشيا) يقول :

— لقد ظهر الغريب على حقيقتهم .

استدار إليه الكاهن في حركة حادة عنيفة ،
جعلته يتراجع مذعورا ، في حين صاح الكاهن :

— حذار أن ينتهى الأمر إلى أن تظهر انت على
حقيقتك يا (جوشيا) ، مهى أقل مما تتصور بكثير .

لم ينس (جوشيا) محرف واحد ، ولم يحرز حتى
على الاعتراض ، وإنما انسحب وهو يهمهم مصارات
غاضبة منه ..

ومعنا نحن إلى العمل المتصل ..

كان الكاهن والجوئيش يتفاوضان العمل ليلا ونهارا
في السرداب ، وكلينا (فرعون) الصق بالكاهن من
ظله ، في رواجه وغدوه ..

ثم حدث ما كنت أخشاه ..

وكانت تقع المأساة ..

كان ذلك ذات ليلة ، حرج فيها الكاهن يلتمس
معص الراحة ، من عناء العمل في السرداب ، وعهد
إلى الأستاذ بالإشراف على العمال بدلا منه ، حتى
يأتى الحاويش (كويك) لتسلم نوبتيته ، وكنت أنا

مشغولا بإحباط عصيان بعض صغار الملاك من
الجود ، الذين فروا من الجندية إلى حتولهم ، لبيع
محصولاتهم ، وبعد أن انتهت الملكة من معاقبتهم
سارت معى الهوينى ، حتى التقينا بالكاهن ، فأمرت
حراسها بالعودة إلى القصر ، وسارت جنباً إلى
جنب مع (اورم) ، حتى احفيا في أحد الأركان ..

وحلست انتظرهما في بقعة بعيدة ، وقد شرد
فكرى في ولدى الأسير الحبس ، حتى تناهى إلى
مسامى وقع اقدام مسئلة حدره ، ما شعلت عودا
من اعواد الثقاب ، لسقط الضوء على وجه أحد
خدم الأمير (جوشيا) :

ووجدت نفسى ارتجفه ..

واتساءل : اكان ذلك الحادم في طريقه إلى حيث
(اورم) و (مجيدة) ، أم كان عائدا من هناك ؟!

وبكل توترى صحت به :

— من انت ؟ .. وماذا تفعل هنا ؟

هتف في انزعاج :

— الطيب ؟!

ابطما عود الثقب في تلك اللحظة ، ولم أكد
اشعل آخر ، حتى كان الخادم قد اختفى ، وكأنها
أنشفت الأرض وأبلمعه ..

ولم أضر الكاس أو أملكه بها حدث إلا أنني لم
أستطع كتمان مخوفي عن (هجر) ، الذي عقد
حاجبيه طويلا مفكرا ، ثم قال :

— أعلت ظلي أنهم سيحاولون قتل الكاس ،
ومن الضروري أن نحذره من اليوم بفرده .

كان هذا في المساء ، ولم نكد نشرق شمس
الصباح التالي ، حتى طرق (كوك) باب حرمنا ،
وهو يقول في انزعاج واضح :

— الكابتن يريد رؤيتكما .

سأله (هجر) ، وبحر نريدي شيئا على محل :

— ماذا حدث ؟

أجابه (كوك) في اقتضاب :

— سترين بنفسيكما .

قطعتا شوطا طويلا في السرداب المظلم ، حتى

بلغنا اطلال معبد قديم ، ورأيت على ضوء الصباح
الذي أحبله شمس الكس ، وهو يحسن مصباحا
آخر ، وإلى حواره جلس (مرعوس) بهر دسه مرحبا
بنا ، وتتم الكابتن في خفوت :

— اتبعاني .. سأريكما شيئا .

قادنا إلى حجرة حاسبه ، أمام منها مرآته ،
وأشار إلى شيء محاور للمرئى ، قائلا :

— انظروا .

بذبت لنا حبة رجل قتل . وإلى حوارها حصر
ضخم ملوث بالدماء وتعرضا على الفور ذلك القتل ،
وهتفنا في صوت واحد :

— (القط) ؟!

قال الكابتن في حزم :

— لقد سئل ليفيلس ، ولكن (مرعوس) أبتنه
إليه ، وأعطى ساحة ، منحوت من الموت بأعجوبة .
وأشبهك مع (لقط) ، واضطرت لقلبه .

غمغم (هيجز) :

— لقد نال جزاءه ..

ولم يكف الحمر بيساهي إني (محبدة ..) حتى
 هرعت إني حزعه مدعوره ، وتنمها (حوشيا)
 متظاهرا بالخزع والبعاضف ، وإن لم ينس أن يرمق
 (فرعون) بنظرة قاسية فاقمة ..

ولم يكف بالنظرة للأسف ، متى مساء اليوم
 نفسه مات (فرعون) ..

مات مسموما ..



مدت لها حنة رجل قتل ، وبى حوردها حمر صحم موط بالدماء
 وتعرفنا على المور ذلك القتل ..

مدد دثر الحادث أحاطيا الملكة بحبه مختاره من حراسها لأوماء ، وبرعاه معه ، حتى إذا لم يكن يحيط حصوه واحده من دون الحراس ، وحتى طعاما وشرابا لم يكن ساواهما قبل أن يذوقها شخص مسئول ، حتى لا يكون مصيرها كمصير (فرعون) المسكين ..

وكان أكثرها صفا وسرما تلك الحراسه المكنفه هي المسه بسبها ، وكذبت لكاس ، وعلى الرغم من أن الحرسه تكفل ألا تقطع رقبا في أثناء اليوم ، وألا يعضى بحب السهم ، إلا أنها في الوقت نفسه تصنع عيونا بصعب بخاورها ، بالنسيه خلف العاشقين ..

ولكن هذا لم يمنع من حدوث بعض الحوادث الغامضة المثيرة للشك ..

معدما كنا نحس ذب مرد - عند مطلع ليل ، هوب عوفنا صخرة صحبه ، ذدت مسحقنا سحبا ، لولا أن أرحمت سوء صنع في هبوطها ، مما حرم مسارها ، وتحونا بأعحوة ..

ومرت أخرى ، سقطت عليها بعض الرباح ، ونحن نحس في أعاصير ، وعلى حصادنا عسرا ، معه عه ، إلا سالنا محدد أثرا بحقوق واحد في الأدغال كلها ..

ودبت يوم ، هرج راجع إلى قصر أبي ، وبلا إلهام من برعنا لأعند ، سادرت من مسخور العريسه ، على مسرعه عده كنبومرات ، عندما عه حمسه عسر من حصاد الرباح ، وأحكموا وثاقها ، وقالوا لهما في سخرية :

— سعا لمحتس والمسته و سمر انه من سمن
— سمر عو مدمر معبودنا ، قبل أن يتحقق اسمه ،
وسم سحن ، الأناس ، وسنى سناهم ، واحمدال
(المور) .

ثم تركوه موقنين ، حتى حل رعساه الأعداء
أخرون وذمها ، وسرعوا إلى القصر لإبلاغ
الرسالة ..

وخرج فريق من الحشيش إلى سبك سبعة ، مهدد
لمتل ، ويحب عن ي من ربه ، سعة حلقهم ،
ولكن دون أن يسفر هذا عن شيء ..

وتعذر عندئذ سؤال جديد ..

أى طريق سلكه حود (الفتح) إلى أرض
(المور) ، ليبلغوا رسالة سلطانهم !!

والمؤسف أن الأمطار قد هطلت بعد هذا الحادث ،
ومحت إليه آثار أقدام ، قد يكون الأعداء قد حلقوها
وراءهم ..

ولم يعد أماننا سوى افتراض واحد ..

أن (المسح) قد كشفوا طريقا حساسا (هرق)
و (المور) ، وأنه سيكون وسيلةهم للمسالك إلى
البلاد وغزوها مستقبلا ..

ونصاعف الفرع في القوس ، مع انتشار
الفصه وانتقالها من مم إلى مم ، وبدا الأمر ثمة
بأمة حديثة ، نحشى أن تهبط عليها العدو بمعية
بالمطلات ، وبحل أرضها ، وهي في سبات عميق ..

وسريعة تحرت الشعة بالنفس ، وأبهار الزهو
بأسوار (المور) الصحريه ، وأبطل الحديث إلى
وصف حيوش (المسح) المدربه ، ولم يلبث الرعب
أن ملأ قوس ، وأربعت بعض الأصوات بطائ
بمحاكمه مستشارى الملك ، الذين سمعوا البلاد
إلى هذه الحالة من الضعف ، بسياسة السلام
الهريلة ، والمزوف عن الحروب ..

وأفل نجم (حوشيا) كثيرا ..

وتقدر ما هبط نجم (حوشيا) ، ارتفع نجم
(محبدة) ، التي طالما بادت بضرورة تكوين جيش
قوى مدربه ..

ولم يعد أمام شعب (الأمانى) المسكن سوى أن
يتصرع إلى إلهه طالبا الرحمة ، وسائلا إياه أن
يمنحهم القوة على مواجهة أعدائهم ..

وأصبحنا نحن أمل (الأمانى) الوحيد في النصر ،
ونضاعف احترامهم لما مررات ومرات ، حتى أن
(حوشيا) نمسه صار يحشى لما كلما لقيها ، وصار
الحفاظ على حياها هو الشغل الشاغل للجميع ،
فانقطعت المؤامرات والدسائس ، أما كان مصدرها ،
وواصلنا نحن العمل ..

وأخيرا انتهينا من العمل الشاق ، وتم إعداد كل
شيء للقتال ، وانعقنا على إشغال قبل الحرب لله
اكتمال النذر ، وهي الليلة التي أبلغنا حواسيسنا
بأن السلطان مستقيم فيها حمل رواح أنى وأمنه في
(هرق) ، وأنه قد استعد لبدء الهجوم على (المور) ،
فورا انتهاء مراسم حفل الزفاف ..

وفي ذلك اليوم أعددنا كل شيء ، فبمنا عدا سد
المر الذى يصل ما بين مفارة مقابر ملوك (الأمانى) ،

وسمى له السبع . وكان الكسر قد مد منه كل
أسلاك المسدود . وجعل بينه الأسلاك جميعها
في حجرة . حيث نعلم برأسه . وحب في السط
مصرعه ، وأقام حراسة مشددة على الحجرة ،
خشية حدوث أية خيانات . .

وفي رابعة من أيام العمل بهم في البحر .
ومعه طير . حارب مدى الأسدياب . وبلغ
مومعا حول مصاريب سوربه وهو بيت . مهبط
مه الكائن في قلق :

ماذا حدث ؟ . . هل كشف (الفنج) أمر
الأسلاك وقطعوها ؟

أجابه (جافيت) في انفعال :

— بل حدث ما هو أسوأ يا سدي . . إن الأمير
أخبر بعد حصه لأخصاف رجده أمور . وملك
الملوك .

صعقا الخبر ، وهتف الكائن غاضبا :

— ماذا تقول يا رجل ؟ . . قص علينا الأمر كله .

التقط (جافيت) أنفاسه ، وهو يقول :

— إن لي صديقا وقريبا — وإن أبوح باسمه —

دعني أخبركم الأمر . وبعد سريته معا اليوم نعلمه

أمداح من الحمر . حارب عفره لسنه ، عدا به
بحرسي مرهوا بوجود مؤامره لأخصاف المسه .
أمسكه (أور) من كسبه ، وصاح به في فوه
— متى وكيف ؟

هز (جافيت) رأسه في انفعال ، وقال :

— لست أدري ، هذا كل ما أمكني معرفته .
سألته في حيرة :

— ولكن ما الذي يدعو لاختطافها ؟

أجاب (جافيت) :

— ليصبح أكبر رجل في (المور) .

ران علينا صبت ثقبيل ، صنعته دهشتنا

واسبكرنا لما سمعناه . وسال الكاس حامت

في انفعال :

— ألم تعلم متى يتم ذلك تقريبا ؟

تردد (جافيت) لحظة ، ثم أجاب :

— بعد خمسة أيام تقريبا .

تهدد الكائن في ارتياح ، وقال :

— يوم السبت بعيد والحمد لله .

ثم سأل مرة أخرى في اهتمام :

— قل لي يا (جافيت) : هل صديقك هذا صادق

دوما ؟

هز (جانبيت) رأسه نفيا ، وقال :

— إنه يكذب أحاسا ، ولكننى رأيت ضرورة
إخباركم بها سمعت .

ربت الكابتن على كتفه ، وقال :

— حسنا فعلت .

انصرف (حاست) وبوتره بلارمه ، فى حين التفت
إلينا (أورم) ، وسألنا :

— ما رأيكم ؟

أجابه (هيجز) فى خجل :

— إنها بعض الشائعات ، التى تنتشر فى كل
مكان .

قلت بدورى :

— أوامرك على هذا ما بهجر ، فلور أن صديق
أحسب (حاست) يعلم شيئا ، لما اكتمى بهذا القول المهم ،
وبصحتى ألا تذكروا الأمر (محبدة) ، حتى لا نشر
قلتها بلا طائل .

هر الكاس رأسه منهما ، ثم التفت إلى (كوك)
يسأله :

أجابه (كوك) بلا تردد :

— لست أوامفهما إلا فى ضرورة عدم إرعاج
سلسلة الملوك بذكر الأمر ، ولكنى أثق فى أن (جانبيت)

رجل أمين ، وعريزته تؤكد له أن شيئا ما يحاك ضد
ملكته .

سأله الكابتن فى اهتمام :

— ماذا تقترح إذن ، لو أن هذا صحيح ؟

امسك الجاويش عصا قصيرة ، وراح يحط بها
بعض الخطوط على أرض الحجره ، وهو يقول :

— هذا رسم تحطيطى لحررة الملكة الحاصه .

هنا ححررتها ، وهما محدع الوصيفات والحاديات .

ثم حدار مربع ، يعقنه حندق عميق ، ولكن هناك

ممر بعرص مربع ، يصل ما بين ححررة الحارس

ومخدع الوصيفات ، والراى عدى أن يقصى ليلدا

أما والاستاد فى ححررة الحارس ، مد هذه اللله .

خشبة أن يتم اختطاطها قبل الأوان .

درس الكاس الأمر لحطات فى صمت ، ثم قال فى
حزم :

— ملكى ، ولكن ما راى الأستاذ (هيجز) ؟

قال (هيجز) :

— اقتراح الجاويش رائع بحق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

— معدرة لحروجى عن النقاش ، ولكننى أحب

أن أضعد إلى الصخرة ، لأرقب ما يحدث ، عندما
تسبب المعركة .

هز الكابتن كتفيه ، وقال :

— لن ترى سوى وميض والتماعات في
السواء .. ولا أمل أن يصحب بحوش إلى حجرة
بحاريس ، وبسطحان معها هفت مدان ، حتى
يتمسكها لأفصال .. واللائحة ماتت محب أولادها .
صوت البحاريس سمعته بعينها سمعت ، وقال :

— أية أوامر أخرى يا سيدي ؟

قال الكابتن :

— لا يا (كويك) .. أنت تعلم أنني مسأئله

... في هذه الحالة .. لقد أسعدت جوانديسما أن
تدرك روت سيمام بعد شهر أسير ثلاث سنوات
كاملة .

أيد (هيجز) حديثه ، قائلا :

— هذا صحيح .. لقد سمعتهم يؤكدون هذا ،

وأنا في سجنى .

قال (اورم) :

— لقد أسبب من أسير أسير قبل المعركة ،
مباشرة لأسير ، حتى لا تصاب إرودريك بأي

صبر ، وعليكما أن تتصلا بي وبالصليب في الباسعة
والنصف .

تبادسا لبحه . وصحبت أنا (هيجز) و (كويك)
إلى حجرة البحاريس ، وسألني (كويك) هاهنا .

— أؤمن بأحدسة السادسة أنها الخلب ؟

أجبتة وأنا في حيرة من سؤاله :

— بالطبع .. لماذا تسأل ؟

ابتسم ابتسامة حزينة وقال :

— شيء ما في أعماقي يسئني أسى من أراكم مرة
أخرى بعد هذه الليلة ، وأن يهتسى مدحيت .

حاولت تهدئته ، قائلا :

— إنه بعض القلق يا (كويك) ، و ...

قاطعتني في هدوء :

— عدني ، لو حققت محافى ، أن بعوا نساء

أحي الراحل ، وأن يخبروهم أن عمهم (صمويل
كويك) قد قام بواجبه حتى النهاية .

شعرت في أعماقي بأن مخاومه عني حق ، حتى

ان صوبى قد ارمحف ارتحامة حمة ، وانا اقول في
حزم :

— اعدك يا (كويك) .

لم سبه (هجر) إلى حديثا ، مقد كال مشعولا
بالطلع إلى معبود (العج) ، الذي سيهوى قبل
مطلع الفجر ..

او نهوى نحن ..

من يدري !

١٠ - المعجزة ..

عدت إلى الكائن ، الذي متى وحيدا في حجرته
الشبيهة بالكهف ، وسركت (جاست) يحرس
الاسلاك ، ولم يكذ الكائن يراسى حتى اندرس
قائلا :

— قلنى يحدثنى بان (محيدة) معرضة لشر
مستطير ، وان قصة (حافيت) حقيقه ، ولقد رحنى
(محيدة) ان سقى اللبله في رمضا . ولكنى رمصت ،
حشية ان نصسا مكروه عند انفجار العلم ، مصاب
معنا ، و ...

ارنم رنس الهامف المنداس في تلك اللحظة ،
فاضطف الكائن سماعه في لهة ، وهف :

— ماذا حدث ؟

أجله (هيجز) في بساطة :

— لا شيء ، فقط اردت ان أخبركما أسس
والجواش في حرة الحارس ، ويدو ان القصر
خال تماما ، إلا من ذلك الحارس ، فلقد خرج
الجميع لرؤية الألعاب المارية ، حتى الوصفات ،

ولقد حاول الحارس منعنا من سقاء في حجرة . نوجه
الأمير بغير حق مع أوامر الأمر الحوشا . بشي
عدم احترام الحرفاء من سلبية الموك . ولكن ، كوك
صفعة صفعة جعنة بعدد كالمندوع ، سارحا ومهددا
بإبلاغ الأمير ، و

منه حدثه بعه . على نحو النسا ، بهت به
(أورم) :

— ماذا حدث عندك ؟

اجابنا صوته بعد لحظات :

— زهرة (المور) هنا ، وتريد أن تتحدث إلى
الكابتن بنفسها .

استحب في صهف . لأترك بهما لحظات ، بغير
صهف به حاد الحب والعشق . لستد كل منهما بويره
ومحاووه . وحسب خارج لبحره صامتا ، حتى
موجب . حاسبت ، يهرع إلى . ومد أحد الرعب
منه مأخذه ، فصحت به :

— ماذا أصابك ؟ . هل قطعت الأسلاك ؟

اجابني وهو يلهث رعبا :

— لا . وبب رعب شبح أحد ملوك (المور) في
الكهف .

أنهى (أورم) حديثه على الفور . وسادنا أما

وهو مصره ذات معرى . ثم هب بسار حبيب .
— هل قال شيئا ؟

اجابه (جافيت) وهو يرتعد :

— على الكبر . ولكني لم أهتم سوى الدليل ،
ميو يحدث بسرعة . وبلغه بحسب عن لعي بشي ،
وبش منه سلسي كيف بحرق فومي على هدم
معوده . وحسب سلسي مجرد حادام محسب . وهب
مال من (المور) سلسي أبي ، ابور . وبسلي
حسابه مع (الأباتي) والغرباء .

سادنا نظرة أخرى ، وفهم الكابتن :

— أظنها مجرد أوهام ومخاوف .

تطلعت إلى ساعتى ، وقلت في توتر :

ليس لدينا وقت للتحقق منهن . بعد خمس

دقائق ثلاث فحسب على العاشرة .

أحد كل منا مجلسه في سريره . وسسيت أو

ساسيا مر ذلك الشبح . وراح اشواى بسلي

بنا كالدهور ، حتى صاح الكابتن :

— أربع ثوان . . ثلاث . . اثنتين . . واحدة .

ثم ضغط زر التفجر . .

وانفتحت أبواب الجحيم على مصراعيها . .

* * *

كان ارتجاجا لم اعهد مثله من قبل . القانا ارضا
في عصف ، ورأينا صحره كثيرة بهوى لسد الباب
امامنا . وسمعا اخرى تسقط بالقرب منا ، منك
الارض دكا ، وانهاالت الأبرسة في عرارة . حتى
هذات الأمور . منهضت البقط سماعة الهامف ..
وهنا بناهى إلى مسامى دوى طافات باربه .
عبر أسلاك الهاتف . وسمعت صوت (هجر)
يهتف :

— حذار يا (كويك) .

واعقبه صوت (كويك) يصيح :

— اطمئن .. لقد اطلقت النار عليه ، ولن يمكنه
إطلاق سهم آخر .

وارتفع صوت (مجيدة) تهتف :

— أين الكابتن ؟ .. اريد ان اتحدث إليه ..

ناولت السماعة إلى (أورم) في سرعه . وسمعتها
تستطرد :

— تعال بسرعة يا (أورم) .. لقد هاجبنا

رجال (جوشيا) .. اسرع قبل ان يمتكوا بنا ،
وان ..

وهنا انقطع الاتصال ، وايقنا من ان احدهم قد
قطع أسلاك الهاتف ، فالتقى (أورم) السماعة من
بده ، وهتف :

— اللعنة !! .. يا للخسة والخيانة !!

ووثب إلى الساب كليث غاصب ، وحاول ان
يرحرح تلك الصخرة التى معرصه في يأس ، ثم لم
يلث ان راح يدور في الحرة كالمحور ، وبصره
الصخرة بكفيه ، حتى صحت به :

— اقرب ان نقتل نفسك ؟ .. اهذا واتركنى
أعكر .

ولكنه لم يبال بحديثى ، وإبنا هتف (حاسن) :
— احصر هذه المصدرة إلى هنا يا (حاسن) ،
م هناك مراعى ضيق بين الصخرة والحمامة العلوية
للباب ، ولعلنى استطيع عبوره .

نححت مكرته بالعمل ، وأمكنه عبور تلك المرحه ،
وتبعه أنا و (حاسن) ، ورحنا نعدو بحس الثلاثة
نحو القصر ، ولم نكد نحصار ردهته حتى رأينا تقع
الدماء على الأرض ، مصاح (أورم) في هلع :

— أسرهموا .. أسرهموا .

عبرنا الممر الذى يوصل إلى مخدع سليله
الملوك ، ووجدنا انفسنا نسير فوق حث ودماء ،

حتى دفنا حجرة لبرس ، مغطى بسيد
 هول المشهد ..

كانت الحجرة مغطاة بغطاء تسبح في بحر من
 الدماء ، وكلها ترندى النياب الرسمية ، التي
 أحارها (حرسا) لجنوده ، وعلى مقربة جلس
 كوث دار مدمر ، وهناك سمع بحرق ظهره ،
 في حين وقعت الملكة إلى حواره ، يدك وحيدة ممدودة
 من القماش المبطل ، وإلى جوارها وقف
 ولدها يدرك من حراجه ، ودماء رذاذ يندى
 يسكن ويسحق ..

ولم يكن يحس كوث انهم عدو ، حين
 انتسامة راضية ، على الرغم من الدماء التي شر
 من رأسه في غزارة ، واسلم الروح ..
 وضم الكائن (مجيدة) إليه ، وعتف في ارتعاع
 — ماذا حدث ؟

اجابه (هبز) ، والحزن يثقل قلبه وصوته ،

— سمعت ذكري اللحن في صياحه مدمر ، في ذلك
 يوم دنا روحه ، وصرخ في حنونه ، فقام دونه
 لدهار ، في لحظة ، في لحظة ، في لحظة ، في لحظة
 الممرك إلى عذراء ..



ووب في لسان كعب غاصب وحارون أن يرحم بيت الصحرة
 التي تعرضه في يأس ..

على ذلك إصرارا دفعنا إلى طرده ، ولم نكد يعادتنا
حتى انهالت علينا السهام ، وانفض علينا جمع كبير ،
بنادى مضرورة قبلنا وانعاد الملكة ، ونشبت عراك
بيننا وسهم ، وأبلى الحاويش ملاء حسنا ، حتى ولى
المهاجمون الأدبار ، بعد أن أصابوا الكوك ،
بضربة سيف في رأسه ، وعلى الرغم من إصابته راح
يقاوم كالأسد ، حتى أطيأ إلى سلامة الملكة ،
فارتقى خائر القوى ، إلى أن حر صربعا أمامكما .

قال هذا ودموعه تنهمر في عراره ، فاحدما نهدي ،
من نفسه ، وبفوسنا نكئ المسا وحسرة على
الكوك ، وحملنا حثه هذا الأخير إلى مخدع الملكة ،
التي أصرت على أن نوضع من دافع عنها حتى
الموت على مراثيها ، وراح نصيد حراح (أورم) ،
وهي تقول في توتر :

— لم نعد نمان هنا .. لقد مثلت مؤامرة عمى
لاخطائى ، وبكسه لن يلبث أن يعود نائف من
أموانه .

سألها الكابتن مستنكرا :

— ماذا تعنين ؟.. هل نهرب من (المور) ؟

أجابته في يأس :

— وكيف لنا أن نفعل ، ورجال (جوشيا)

بحرسون الطريق ، و (السح) بيطروكم في
الحراح .. إن (الأمانى) بكرهوكم ، وسيميلوكم
بلا تردد ، بعد أن أبهمم ما أبفوا على حسابكم من
أخيه .. إبهم شعب باكر للجميل ، وحدثنى أن
دفعتمكم للمحى إلى هذا البلد العاق .

واحرطت في بكاء حار ، محث ، حاست عند
تدبيرها ، وقال :

أنا سليله الملوك . أسمعنى إلى خادمك المخلص
الأمس ، مبيت ، على مسيره حمسه كيلومترات .
بوحد حمسه من رحاات المخلص ، يعملون تحت
مادى ، وبعيدوك بالروح والدم ، مهام ملحق
بهم .. يمتقون (جوشيا) أشد المقت .

صغت أ محبده إلى أنكس لحضات ، وكنتها
تسأله المشورة ، ثم قالت :

— فكرة جيدة .. هلم بنا إلى هناك .

وتم بمص عشر دقائق حتى كنا نحس في معاطف
بسله ، ونحطط بالحموع المحشدة ، أبى أحسبت
في الميدان الكبير ، وراح نسير إلى صحرة
تتوسطه ..

وامام دهول ودهشت ، بدا لما يعود (نصح)
واصحا ، وقد قدب به الانحار إلى ارض (المور) .
وبدا (جاسب) شديد الرعب ، وهو سطلع إلى
هذا المشهد ، مرت (هجر) على كفه ، قبله :

— لا ترتجف على هذا النحو يا رجل .

الثقت إليه (جافيت) ، وقال في ارتياح :

— ألم تعلم ما يعنيه هذا يا سيدي ؟ .. لقد
حلب اللعنه على (الاناس) ، وبدلا من ان يرحل
(السبع) بعدا ، فإنهم سيسعون مصودهم إلى هنا .

وكان (جافيت) على حق ..

بعد انعكست الآله ، وصار على شعب (الاناس)
ان يقاتل من أجل حياته وحرية ..

او يموت ..

لم يكند سلع موقع جيش (حامت) الصغير .
حتى لمسنا الفارق الهائل بين 'عرق' البطله ،
وسائر شعب (الاناس) ، فقد اعرضنا صور
انفراسا من موقع الجيش حدى حراسه ، وشهر
سيفه في وجوهنا ، هاتفا في صرامة :

— توقفوا ، واكشفوا عن شخصياتكم .

اجابه (جافيت) في هدوء :

— إبنى رئيسك .

قال الحارس في حزم :

— معذرة يا سيدي ، ولكننى اصر على ان

أكشفوا وجوهكم .

كنس (حامت) وجهه لبحارس ، الذى حماه
في احرام ، وكشعا وجوها يدوربا . فلم يكند
الحارس يرى وجه (محدة) حتى حر ساجدا .
وهو بهتف :

— لبيك يا (أم الفجاشي) وسليلة الملوك .

احسبه في برمع ، شمس من طسعه الدماء المنكبه .

التي تسرى في عروقها :

— استدع غرقتك كلها ؛ لابلعها اوامرى .

لم يمحى دمه واحده . حتى حث امامها جميعا
رجل موفوري القوة والصحة ، ثم انتظموها في
صفوف منسمة ملزمة . عوقبت هي امامهم بقول :
— ايها الرجال المخلصون ، لم يكذب معبود
(العنق) بنهار الليلة ، حتى اتى عمى (حوشيا)
ينشد قلبى ، او مسجنى في قلعه عند البحيرة .
سرت هممة غاضبة مستفكرة بس الجنود ،
ماضيات في حزم :

— الاسوا هو اننى لم اكذب ارفض ذلك ، حتى
اصطحبت عمى ثنه من رحله . لانتراعى عبود .
ويمكن الاحاب انفس بخدموسى هموا لبحدى .
ودارت بسهم وس حشود عمى معركة حامية
لوطلس . محج حذرها لاحاب في احبار مواف عمى
على الانحساب ، وعمى بجمع الآل اعوانه . لتعد
الكرة .

بعض صناديقهم إلى بين سماء ، وهم يهتفون :
— نذاك دماؤنا واوراحنا يا سليله الملوك ..
مرى مطع .. محى رهى إنك يا رهرد المور .
ورفع احد ضباطهم سيفه عاليا ، وهو يهتف :
— فلنشق رأس الأفعى .

ولكنها صاحت مستفكرة :

— انشس حربا اعلية ؟ .. اشمل نيران المشة
وسط شعب يواجه عدوا مشترك ؟ .. ثم كيف لكم
مواجهة جيش (جوشيا) الجرار ؟
سألها الكابتن :

— ماذا تقترحين إذن ؟
اعتذلت في اعتزاز ، وهى تقول في حزم :
— ان نعود مع هذا الجيش الصغير إلى
القصر ؛ لنقف جميعا في مواجهة الأعداء .
غمغم (هيجز) في ألم :

— من الامصل ان نسرع إذن ، مساقى تؤلمنى
للغاية ، واكاد اسقط نائما بين ايديكم .
رفعت (مجيدة) ذراعها ، وهتفت :
— هيا يا رجال .. حلوا الخيام ، واستعدوا
للسير .

لم يكذب تتم عبارتها ، حتى تناهت إلى مسامعنا
خلقه ، وابصرنا رجلا يقوده بعض حراس الجيش
الصغير إليها ، واخل إلى في البدايه انه حسوس ،
ثم لم البث ان انتهت إلى ملاسسه الغريبة ، وثوبه
المحمر ، وتلك العلادة الذهبية ، التى نرمس عنقه ،

مرسى عسى إلى وجهه ، وانطلقت من أمانى
شبهة قوية ، وأنا أهتف :

— ولدى أ. . (رودريك) !

وإن المخطلة السلة كان كل ما من دراعى
أخر . أهر وجه صاحبه بأسلاف . وألف حولها
الأيام . وسعدت لعمري أحرى عسى إلى الصانع .
وهتفت به فى فرحة فائقة :

— كف جئت إلى هنا ؟

أحاننى فى مسعادة :

— على قدمى يا ولدى .

وهتف به (هيجز) :

— يا سيدك قد تزوجت السلة يا رودريك . .

أين زوجتك ؟

أنا رودريك سعيدة حارة . بحمل الكثير من

الخلاص والارتياح ، وهو يقول :

— لم يتم الزواج لحسن حظى . . لقد سارت

المراسم فى ما أحسن . ومعنى أن يصنع الكاهن

عند أهلى رأسا . أعسا روحا وروحه . وهنا

أرعد النساء . وعرب الحبال . وساد الهرج

والفرح . ورجع الجميع سعدون فى كل مكان . وهم

يعدون . وسعدت لعمري أحرى عسى إلى الصانع .

الذى لم يرح مكانه منذ الخليفة . . إنه سحر الرجل
الأنسى . . . وراح سلطان . الفصح . بشق ثوبه
الملكى . وبصرح : « أحرروا أنفسكم ، الفصح . .
هأجروا . . لا يحب أن يبقى واحد منكم فى هذه
الأرض . بعد موت ميسود . » وراح حطيسى .
أبى السلطان . بشق ثوبها بدورها . ولطم
حديها . وراحت تعدو مع الجموع الراكضة نحو
أشرف والحبوب . وقد أسبب الجميع بدعرا هائل .
لم أر له مثيلا فى عمري كله . ولكنى أدهرت
المرصة . وانطلقت أنا نحو العرب . وفادى مهر
ضيق إلى هنا ، فأمسك بى هؤلاء القوم .

سميته مرة أخرى إلى صدرى . وأنا أقول :

— مسكين أنت يا ولدى . استعرت من

الرمضاء بالنار .

سألنى فى دهشة :

— ماذا تعنى يا أبى ؟

أجبت فى حزن :

— لقد نظير رأس ميسود (الفصح) مع الانحجار .

وهو يرفد الآن فى سهول (المور) . وهذا يعنى أن

(الفصح) سيسمون إليه . وسبقهم جميعا فى

مبصرهم .



— والآن تعال أقدمك إلى سليمة الملوك .

استقبلته الملكة في حمادة بالغة

هز رأسه ، وقال :

— لست أظن هذا ما والدى ، ثم الفتح بجهلهم
ما أصاب معبودهم ، إلا أنه قد نسف بسما ، ولمد
هجرنا (هرقى) إلى الشرق ، فور حدوث هذا ،
ولن سمعوا عن ابتعادهم ، ما داموا يحفلون أن
رأس المعبود هنا .

درست كلماته في رأسي لحظات ، ثم قلت :

— أرجو أن يكون محفا ما ولدى .. أرجو ذلك
من أعماق قلبي .

ثم ابتسمت ، مضيفا في حنان :

— والآن تعال أقدمك إلى سليمة الملوك .

استقبلته الملكة في حمادة بالغة ، وانحني هو
يلثم أصابعها ، وهو يخفم مفتونا :

— إنها تحمل إبراة رأسي في عمري كله يا امي .
ولم يكن أول من تفننه الملكة ..

عدنا ادراجنا إلى (المور) ، على رأس جيش
احاسيت ، الصعير ، واعرضنا حامي صغيره .
على مشرف المدينة ، ولدى الملكة اعلمت عن
شخصيتها ، فسمح لنا رجال الحامية الطريق ،

واسعدوا على صهوة جيدهم . بسيموسا إلى
المدينة ..

ولم يكذ نبلع المدينة حتى موحى بان احبار
الاسر الاسر . الذي عاد من بلاد الصبح ، على
قدمه . قد سبقنا ، معلن حاميا ، ان الصبح ،
قد هاجروا إلى الشرق . وهم يحيلون ما حدث
لمعبودهم . ويذنب هذه الاحبار حرس الاناس .
واشاعت بينهم المرح . وانفسه من صدورهم .
مراحوا برقصون ويهيمون في الطرف . ويهينون
انفسهم على شجاعهم ، التي دفعت الصبح للفرار
من وجوههم والهجرة إلى الشرق !! ..

ومعسبا بحر . وسط هذه الاحتمالات . إلى
المصر . دون ان يلبس ايسا الانطار . ويكن محاذ
اعرضنا حشش صحم . من الف رجل . وصباح
قائدهم في (جانبيت) :

— كيف غاردم موقعكم ؟ .. من امركم بهذا ؟

اجابه (جانبيت) في حزم :

— امرنى من لا املك مخالفة اوامره .

قال القائد في صرامة :

— لو أنك تقصد البض فانت خاسر ؛ فلدينا

اوامر من اميرنا وقائدا (جوشبا) بإلغاء القصر
عليهم .

قال (جانبيت) في صوت جهورى :

— لقد امرنى سليله الملوك بحسم إلى قصرها .

اجابه القائد في صرامة وحدة :

— سليله الملوك لا يملك إصدار قرار . ما لم
يقره المجلس .

وهما كشفتا محبده النقب عن وجهها .
وصاحت في غضب :

— اقتصوا على هذا القيد انها الضباط . ما
ملككم . واقطعوا رأسه . وارسلوه إلى اميره
(جوشبا) ، الذي دفعه إلى هذا .

شحب وجه القائد . عذب رأى وجهه المجبده .
والى يسه عن حواده . وركع عند قدميها يمسح
وجهه في ذيل ثوبها مسعرا . ولكنها قالت في حزم :

— سننار لمقتل الجاويش .. نفذوا الامر .

وفي الحصة العاليه كان حشش الحرار يعود

أدراجه في موكب حرس ، حاملا رأس مئده ، في حين
صاحت (مجيدة) بحيش (جافيت) :

— هيا .. سوصل سريعا نحو القصر .

بدت كاحسن ما يبدو الملكة ، وهي تسعد بحيش
الصغير ، في طريقها إلى القصر ..

ولكن فحاة حدث ما لم يكن في الحسبان ..

لقد ارتد إلينا جيش الألف رجل ..

ارتد مقاتلا ..

تقول الأمثال إن الشدائد تبرز الرجال ..

وهذا ما حدث بالضبط ..

لقد كان جيش (حوشيبا) نصف بعدد جيش
حبيب ، ولكن رجال هذا الأخير كانوا من حيرة
أرحال ، ولقد انحلت شجاعتهم واستعدادهم
القنالية على الفور ..

ودار القتال حامي الوحش بنصف الساعة فقط .
وبعد انصق من سقى من جيش (حوشيبا) بولي
الأذنان ، وقد عدوا نصف رجالهم . في حين لم يعد
ممن حبيب سوى خمسين رجلا محسب ..

ودخلنا القصر الملكي مع المجر دخول الطامرين ،
ولكننا وحدينا بعض النيران تشتعل منه ، مأسرعا
بطيئها . حتى هذات الأمور مع مشرق الشمس ..
وعادت الملكة إلى عرشها ..

كنت اتحدث مع ولدي (رودريك) في الصباح
الغالي . عندما جاء (حبيب) بدعونا لمعاليه سلمه
الملك ، مأسرعا إليها . واستمعنا في صوت حزين
أسف ، وهي تقول :

— عبر أحد السهام مئده حجري في الصباح ،
حاملا رساله من عمي (حوشيبا) ، يقول فيها :
« غلبنا (أم النحاشي) لنا صومها البصر ، الدين
امسدوا عفتها ، ودمعوها إلى إرافه دماء شعبها ،
وأن مسلما معهم جيش (حبيب) ، حتى يعمو عفتها
وعن الشعب ، ويحدها روجه لنا . وإلا مسعمل
سيوفنا في رقاب الجميع بلا رحمة » .

ثم رفعت رأسها إلينا ، وسالت :

— ما رأيكم ؟

قال الكاتب :

— إنما سر المطرقة والسندان في الواقع ، هما
أن يهجمنا (حوشيا) واعوانه ، أو يخاصرونا حتى
نموت جوعا .

غمغمت في شحوب :

— لقد نسيت أحد شروط هذا العاخر ب كاس .
واثارت إلى انفره التي تطلب منها (حوشيا)
الزواج منها ، ثم اعدلت قلبه . وهي سرر خطايا
مكتوبا :

— على ايه حال ، لقد أحبت خطاب (حوشيا)
بالفعل .

وراحت تقرا :

— يا شعبي الثائر ورعيتي المتمردة ..
سلموني عمي (حوشيا) واعصاء المجلس الذي
مردوا على حكمي ، ما حاكمهم واعمو عن الآخرين .
والإله مع اكتمال القمر سيقع ليلاد (المور) ما وقع
ليلاد (هرق) . وهذا ما هبط به النوحى على .
ولعلموا ان امكم الوحيد في ملككم ، وصومها
البيض .

سألتها في دهشة :

— ماذا تعنين بالوحي الذي هبط عليك ؟

أجبتني في هدوء :

— لقد غرقت في نوم عميق مع الفجر ، وشاهدت
في نومي امرأة سمراء ، مهيبة وقور ، عرفت فيها
جسدي (بلقيس) ، التي تطلعت إلى في مزيج من
الحب والأسى ، ثم اراحت من أمامي سفار المستقل ،
فرايت النور يتوسط السماء ، وتحتة بلاد (المور)
أطلالا ، وقد اكتظت شوارعها بالقلبي .

تمتم الأستاذ (هيجز) :

— إنها مجرد نبوءة عبرانية قديمة .

فوجئت بولدي (رودريك) يقول :

— لقد انتهى عهد (الأباتي) .

التفتنا إليه جميعا في دهشة ، فاستطرد في
جدية :

— لقد علمني كاهن قديم تفسير الأحلام ، وهذا
الحلم يعني نهاية شعب (الأباتي) ، مع اكتمال
القمر .

أما الكابتن ، فقد واجه (مجيدة) ، قائلا في قلق :

— هل تعلمين أن جوابك على رسالة عمك ،
يعنى إشغال حرب غير متكافئة ؟

اجابته في هدوء ، وهى تقطع إلى حشود
(الأباتى) ، فى الميدان المواجه لقصرها :

— من يعلم كيف تنتهى هذه الحرب ؟

وبدا قولها اقرب إلى الصواب ..

١ نعم .. من يعلم ؟ ..

* * *

١٢ — الهزيمة ..

لم تكن الحرب متكافئة بالعمل ، فجيش (جانبيت) لا يعدو سدس حجم جيش (جوشيا) ، ثم أن المؤن فى القصر لم تكن تكفى إلا لثلاثة أيام فقط ، بالإضافة إلى أن ابواب القصر واثاثاته كانت مصنوعة فى الغالب من الخشب ، مما يجعل اشتعال الحرائق امرا متوقعا ميسورا ، وعلى الرغم من ذلك فقد رحبا بحكم المزالج ، ونوزع الحراس على المنافذ والابواب ..

وطيله الايام الثلاثة التالية ، حاول (الأباتى) اقتحام إحدى الموابات ، إلا انما اصلبناهم نيران مسدساتنا وفادقنا ، وسهم رجال (جانبيت) ، حتى ولوا هاربين ، وبعدةا اكتفوا بمحاصرتنا ، حتى بعلينا الجوع ، ونضطر إلى التسليم ..

وراودتنا فكرة أن نخرج إليهم ونقاتلهم ، وكان من رأى (جانبيت) أن الموت فى ساحة المعركة اشرف منه على المشائق ، ولم يؤيد هذا القول إلا ذلك الجوع الذى نهش أعاننا ، مع نفاد المؤن ، فآخذنا قرارا بالخروج لقتال (الأباتى) فى الصباح التالي ، مهما كانت النتائج ..

ولكن القدر لم يمهلنا لنفعل ..

لم تكد تشرق شمس الصباح التالي ، حتى بدا لنا ان سيلاً من الشهب يسقط على القصر ، من قمة الصخرة المشرفة عليه ، نهتف الكائنات :

— يا إلهي ! .. أي شهب هذه ؟

ثم لم يلبث أن صاح ملئها :

— رباه !! إنها أسهم مشتعلة .. اقرع ناقوس الخطر يا (آميز) .

وهوت الأسهم المشتعلة على القصر ، وراحت الطيران تندلع في كل ركن من القصر ، وأصابها ذعر هائل ، ونحن نعدو من بقعة إلى بقعة ، وكلما أطمأنا ركنا اشتعل آخر ، وأصابنا النيران بعصر الرجال ، فراحوا يعدون في الم ورعب ، كجمرات ملهمة حية ، وراحت وصيفات الملكة يصرخن ويعولن في رعب قاتل ، وارتفع صوت (جوشيا) من الخارج ، يهتف برجاله :

— اقلوا من تشامون ، ولكن الويل كل الويل لمن يمس شعرة واحدة من رأس سليلة الملوك . هوت الضربات على الأبواب في عنف ، وصاحت

الملكة بوصيفاتها ، تطلب منهن العرار بأنفسهن ، ماظعنهما في أربياح ، في حين أمسك الكابش بيد الملكة ، وهتف :

— تعالوا .

صاحت في عناد :

— لا .. إنني أفصل الاحتراق حية ، على تسليم نفسي لـ (جوشيا) .

صاح بها :

— لن نذهب إلى (جوشيا) .. سنذهب إلى الكهف ، حيث مقابر ملوك (الأباتي) ، معي نفق ضيق كهذا يستطيع أربعة رجال سادقهم صد آلاف (الأباتي) .. هيا يا (جافيت) .

انطلقنا إلى الكهف ، وعبرنا مغارة مقابر الملوك ، وأشار (جافيت) إلى السرداب الذي يربط ما بين الكهف ومغارة الأسود ، وقال :

— يمكننا أن نفر من هنا .

اعترض (هيجز) في خوف :

— وما الفائدة ؟ .. سنفر من (الأباتي) لنقع في أيدي (الفنج) .

هتف ولدى (رودريك) :

— لا .. لقد رجل كل (الفنج) عن (هرق) .

وامتقا على اقتراح (حاست) ، ساء على راي
(رودريك) ، ولكن ههات ..

كن السرداب قد اسد ماما بالاحجار والصحور .
من حراء الانفجار ، ولم يكن عدديا او حاسبا يصلح
لرمعها ، ماصابا اليأس مره اخرى ، وحاصه مع
ضعف المشاعل ، وقرب انطفاء نيرانها ..

ثم لمطت المشاعل انماسها الاخيرة ، وتركنا في
ظلام دامس ، والجوع ينهش امعنا ..

ومحاة هتف (جاست) ، وهو يحنو عند قدمي
الملكة :

— اما سليله الملوك .. عندك (جاميت) شجاع
صديد في صوء الشمس ونحب اللحوم ، ولكنه هنا .
وسط الجوع والظلام ، اشد حبا من (جوشيا) ..
ارحوك يا مليكني ، دعينا نعد إلى النور ، ونسلم
انفسنا للأمير ، فقد بعثوا عنا ، وبحفظ حيائنا .

هرت (محيدة) راسها في صمت ، فاجبه
(جاميت) إلى الكابتن ، مستطردا :

— انرضي يا سيدي أن تكون سبب مصرع سليله
الملوك جوما وعطشا ؟

الا بدفعك حثك لها إلى صونها من الهلاك ؟
اجابه الكابتن في صوت ضعيف ، بدا وكأنه ينبعث
من أحد القبور :

— انت على حق يا (جاميت) .. اصمى إليه
يا (محيدة) ، إنما سموت بدد الجوع او بايدي
(الأتاني) ، أما انت فخرجك من هنا يعني نجاتك
حتما ؛ لأن (جوشيا) لن يمسك بسوء .. هيا
يا (محيدة) .. ارحلي .. ارحلي لتنجي بمرك .
اجابته في انممال ، على الرغم من ضعفها
وتهالكها :

— لا يا (أورم) .. إنني امصل الموت على
الروح من ذلك العاسق (جوشيا) .. ولينحنى
القدر فرصة أن اموت إلى جوارك .. مر (جاميت)
بالتزام الصمت ، او اطرده من هنا ، حتى لا يزعجنى
مرة اخرى .

ولم يعد (جاميت) إلى هذا الحدث بعدها ..
ابدا ..

* * *

قضينا في ذلك الكهف يومين كاملين ، نهش
خلالهما الجوع أمعاءنا ، ولم يكف ذلك القدر الضئيل
من المياه لنحيا شيئا من الطاقة ، ولقد احببنا
(جاميت) ، ولكن ذلك لم يلفت انتباهنا كثيرا ، فقد
ادركنا انه قد ذهب ليوت في مكان ما ، وشعرنا ان
الموت يحيط بنا كلنا مثله ، وراح الضعف يحيط بي
في شدة ، واذكر ان آخر عود ثقاب اشعلته قد
جعلني ارى الاسناد (هيجز) ، وهو يخط مصمم
كلمات على قبعته ، وهو يطنها بمكره ، وقد ارتدى
مطاره ، على الرعم من الطلبة ، وإلى جواره وقف
(رودريك) يشهد بالعربية والإنجليزية ، وعلى
مقربة منهما رايت (مجيدة) تجلس إلى حوار
(أورم) ، وقد احاطها هو بدراعه في حنان ،
وأسندت هي رأسها إلى كتفه ..

ثم غمر وجهي ضوء قوي ..

ومقدت الوهم ..

ونجاة استيقظت ..

استيقظت لأحد نمسي في حجرة كبيرة ، راقدا على
فراش وثير ، وإلى جوارى يرقد (هيجز) والكاشن
و (رودريك) ..

ثم دخل خدم (الاماني) يحملون الطعام ، وراحوا
يطعموننا ، ثم تركونا نعود إلى النوم ..

وتساءلت عما بعينه هذا ..

أهو حلم ؟ ..

أهو أمل بالنجاة ؟ ..

ولكن لا ..

إن مذاق الحساء واللحم ما زال في فمي ، وبين
أسناني ..

إنها حقيقة إذن ..

لقد نجونا ..

لقد اخرجونا من الكهف ، وحملونا إلى هذا
المكان ؟ ..

ولكن من محل هذا ؟ ..

ولماذا ؟ ..

لماذا ابقوا على حياتنا ؟ ..

لم أجد جوابا لكل هذه الاسئلة ، ولم أحاول حتى

ان اتيها على خدم (الانانى) ، الذى اطعمونا
الحساء واللحم خمس مرات فى يوم واحد ، حتى
استعدنا عامينا ، ورايت (هيجر) يجلس على
فراشه ، ويحدق فى وجهى ، قائلا

— انجونا ، ام انه يوم الحساب ؟

اجبته فى خفوت :

— الأرجح انه يوم الحساب .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— لو اسألتكما فى ادى (الانانى) ، مالحوات
الاصح هو اتنا فى الجحيم .

ثم هتف بالكابتن :

— استيقظ يا (اورم) .. لقد خرجنا من الكهف
على اية حال .

نهض الكسب ، وتطلع إلينا لحظة ، ثم سألنا :

— اين (مجيدة) ؟

لم ملك جوابا لسؤاله . ولكن (رودريك)
اجاب :

— لقد حملونا إلى خارج الكهف ، وكان (جاميت)
معهم .. ولقد رايتهم يحملون سلسلة الملوك إلى
جهة اخرى .

حاولنا هذه المرة ان نلقى معص الاسئلة على
الخدم ، ولكنهم رمضوا رفضا تاما بمحا اية
اجوبة ، ولقد سمعت احدهم يهمس لزميله ، وهما
يغادران الحجرة :

— متى تنتهى خدمتنا لهؤلاء الاوغاد البض ؟

اجابه زميله :

— سيقدر المجلس هذا ، فى غضون يوم او
يومين .

وعند الغروب سمعنا اصواتا تهف اسفل
النافذة :

— أعطونا الفراء .. نريد الفراء .. لقد
سئمنا الانتظار .

فغمغم الأستاذ (هيجز) :

— من المقلاة إلى النار مرة ثانية .

مضينا إلى المجلس وسط حلقة من الجند ، تميل على حمايتنا من غضب الشعب ، حيث راحت النساء يلوحن بقبضاتهن في وجوهنا ، ويبصق علينا ، في حين رشقنا الأطلال بالحجارة ، ووجوه الجميع تحمل كل الكراهية والتشفي والبغض ، فسألني (رودريك) ، وهو يدلك كتفه ، بعد إصابته بحجر :

— لما يكرهونكم على هذا النحو يا والدي ، على الرغم من كل ما أدبتم لهم من خدمات ؟
أجبتني في حزن :

— لأن الملكة تحب أحدها يا ولدي ، ولأنهم يكرهون الأجانب ، وكل الجناء ، سيستعملون للانتقام منا ، بعد أن أمناو شر (الفنج) ، وأصبحوا بلا حاجة لوجودنا .

فهم في غضب :

— كم أتمنى أن يدرك (الفنج) خطاهم ، ويعودا للثأر من هؤلاء الجناء .

وبدا لي قوله أقرب ما يكون إلى الصواب ..

لقد محونا من الموت في الكهف ، لنقع في أذى من يمتنوننا أشد المقت ..

ولقد بقينا في هذا الكهف ثلاثة أيام ، نعينا فيها بأطياب الطعام والشراب ، كالتعاح التي يتم تسميتها للذبح ، وفي اليوم الرابع ، وبصد أن انتهينا من ساول طعام الأمطار ، أقدم عدد من الجنود حاربنا ، بقيادة صابط غلط حش الطباع ، أحرنا في شمانة أسما سمدت إلى المجلس ، ليحاكم أمام سليله الملوك ، بتهمة قتل عدد من الرعمه ..

وذهبنا ونحن نجهل مصيرنا هذه المرة ..

نجهله تماما ..

* * *

بلغنا مجلس الملكة الكبرى صموية ، وبعد
ان أصابنا بعض الحمى والحجارة واخرقنا
صفوف وجموع النسل والكهنة والقادة ،
الذين راحوا بسخرون منا ، ويعبرون عن شمسهم
ومقنهم ، حتى وضعنا الحراس فى المكان المخصص
للمتهمين ، إلى يسار عرش (مجيدة) ، إلى أخفى
نقابها الموشى بالنحوم المضمة وجهها ، وسبعت
الكائن بقتل فى ارتياح ، وهو يقول :

— حمداً لله .. إنها بخير .

قال (هيجز) فى حق :

— كان ينبغي أن تتخذ مكانها إلى جوارنا ، فى
فحص الاتهام ، لا فوق العرش .

أشار إليه الكابتن بالصمت ، ونهض مثل الاتهام
ينهمنا بأننا قد انتهرنا فرصة وجودنا على رأس
جيش (المور) ؛ لشير حرباً أهلية ، ونشعل نيران
المتنة وسط شعب (الأباتى) ، مما تسبب فى إراقة
دماء العديد من الأهالى بأيدى بعضهم البعض ، إلى
حوار من قتلهم بأيدى ، ثم اختطفنا الملكة ، وهربنا
إلى مدينة الأرواح تحت الأرض ، لولا أن كان بيننا
(جاميت) ، أحد رجالهم المخلص ، الذى كشف
لهم من مخبئنا ..

وانتهى مثل الاتهام من حديثه ، فسألنا القاضى :
— هل هذا صحيح ؟

نهض الكابتن نيابة منا ، وقال :

— ليس هناك مجال لاتهامنا بقتل من سقطوا
فى ساحة القتال ، مقد كما ندافع عن حياتنا ، ثم إننا
لم ندأ تلك الحرب الأهلية ، بل بدأها أميركم .
سرت مهمة غاضبة وسط الحضور ، ولكن
الكائن تجاهلها تماماً ، وهو يواصل حديثه فى
شجاعة :

— أما عن ماقى الاتهامات ، فسأترك لسليمة
الملوك وحدها التحدث عنها ؛ لأنها تعرف حقيقة
ما حدث .

صاح بعض المقترجين :

— لقد اعترفوا بحربة القتل .. أصدروا الحكم
بإعدامهم فوراً .

نهض القضاة من مجالسهم ، واندفعوا حول
(مجيدة) ، يشاورونها فى الأمر ، وقضوا حولها
بعض الوقت ، ثم عادوا إلى مقاعدهم ، فرفعت
(محيدة) يدها ، وساد المكان صمت تام ، قبل أن
تقطعها هي ، قائلة فى برود :

— لقد اعترفتم أيها الغرياء بإثارة حرب أهلية ،
أهدرت فيها دماء وأرواح بريئة طاهرة ، وهذا
لا يحتاج إلى أدلة أو براهين ، فدموع اليتامى
والأرامل ودماء الشهداء تشهد بذلك ، ثم نأسى جريمة
اختطافي ، واحتجاري في أرض الأرواح ، لتضمنوا
سلامتكم .

صعقا حديثها ، وعقد السفن في حلوقها من فرط
الذهول ، في حين تابعت هي نفس اللهجة الباردة :
— إنكم تستحقون ما هو شر من الموت ، بسبب
هذه الجرائم ، ولكننا سندكر لكم تدميركم لمحبود
(الفنج) ، وسنمحو عنكم بالنسيئة للإعدام ، ولكنني
أمركم بالرحيل اليوم إلى بلادكم ، بما لكم من مناع ،
وبما جلبتموه معكم من مقبرة الملوك ، والويل لكم
لو عدتم إلى هذه البلاد ، ولتحمداوا الله ؛ لأنكم وحدتم
شحننا كريما ، أصر على التمسك بالانفاس بين
مجلسه وبين جماعة من البيض العرباء ، حتى
لا يوصم بالتبارل عن شرفه يوما .. ارحلوا ،
ولا تدمونا نرى وجوهكم بعد اليوم .

هتف النمس مؤيديه ، وصاح البعص الآخر
غاضبا :

— لا .. لا .. يجب أن يقتلوا .

أشارت (مجيدة) بيدها في صرامة ، فهاد الصمت
بمسود المكان ، لتقول هي في حزم :

— حذار أن يصيبكم التساريخ بأنكم شعب من
القناة الجبناء ، معدومي الشرف .. لقد دعونا
حفنة من كلاب البيض لتضطاد لنا وحشا يحمل اسم
(هرمق) ، ولقد نجحوا في مهمتهم ، وأحسنوا
الصيد ، ويستحقون أن نبقي على حياتهم ، وأن
نمنحهم كومة العظام التي ارتضوها أجرا لهم ، والتي
يتصورون أنهم قد ربحوها بعرق الجبس .. وما قيمة
حفنة من العظام عند شعب عظيم مثلكم ، لم يلوث
أرضه بدماء كلاب بيض .

نقل حديثها الحماس إلى قلوب الجمع ، فارتفع
هتاف هادر :

— طبرحلوا .. اربطوهم إلى ظهور الجمال ،
وليرحلوا بعيدا .

قالت في حزم :

— هذا ما سنفعله ، ولكن لدى كلمة لكم
يا شعبى .. لقد تصور بعضكم أو ظن أنني أحب
أحد هؤلاء الكلاب البيض ، ولكنكم نسيتم أنه هناك
نوع من الكلاب لا يعمل إلا إذا ربتنا على رأسه ،

وهذا ما فعلته مع أحد هؤلاء الضمير ، فقد رحت
أرست على رأسه : لاستعمل علومه ومواعنه ،
وأدواته الجهمية ، التي هدمت معبود (المسيح) ..
أتصورتم يا شعبي المحبدين أن حبيدة سليمان
و (بلقيس) ، وأبيه الملوك والجنه ، ورهرة
(المور) ، يمكنها أن تهبط من عرشها ، وتخرج عليها
لعرب صال ، حياء تسعى حيف كصور الميت
(سليمان) ؟ لا .. إني أرثي لحال هذا العرب ،
الذي تصور يوما أني قد أحسنه ، ودعوه في العبد
لحضور حبل زماق إلى الرجل الذي وهبه نسي .
ومدت يدها إلى (حوشيا) ، الذي أحنى بلثم
أصابعها مزهوا محورا ، وبهم يصنع كلمات لم يسمع
مسيما ، وسط دوى القاعة بالهناج والشمع .
إلى أن علا صوت الخاس كل الأصوات . وهو
يقول :

— لقد سمعنا كل شيء .

رأى الصمت على القاعة إثر صبحه ، وطلع إليه
الجميع ، متحفص صوبه ، وهو يقول في حرم بارد .
— سمعت حديثك يا سيده الملوك ، وشكرتك
اعترامك مخدمينا ، ومحاضرتنا ، رواحيا في سدر
هدم معبود (المسيح) ، وعترف بكرمك عندها بطقس

سراحيبا ، وتمحيصنا ما وعدت من مكامات مقابل
ذلك ، وهذا دليل على كرم شعب (الإناني) ، الذي
سندكره دوما ، لو قدر لنا العودة إلى وطننا ،
ولكن لي رجاء أخير يا زهرة (المور) .
مالت بحسدها إلى الأمام ، وكلمها بهما كثيرا أن
تستمع إلى مطلبه ، فقال في صوت قوى :

— أريد أن أرى وجهك لأحر مره ، دون نقاب ،
لأؤكد من أن من أسمع إنيها هي نفسها مطلقة
الملوك . لا يزال أحري مسكرة في ثوبها وصونها .
رأى حبيدها بعد كلبانه ، وأبحت العيون
كلهما إلى حيث يجلس (محبده) ، وكلمها تملكهم
الشفف لمعرفة رد فعلها وجوابها ..

وفي بطن شديد ، رفعت (مجيدة) نقابها ..

وتراجع الكابتن في دهشة ..

بل تراجعنا جميعا ..

لقد بدت لنا (محبده) أخرى ..

(محبده) الشاحبة الذابلة ، وكأنها هيكل أو
شمع مرأ ..

وأدرك جميعا أحصيا سر موقمها البطل ، ومدى
معدنيا . رغم أن ذلك أسور البطل ، مصحبة
بنفسها في سبيل إنقاذها ..

وهنا سقط الكابتن ..

سقط مغشيا عليه ، وكأنها لم يحتفل كل ذلك
القدر من العواطف والانفعالات ..

وكادت (مجيدة) تهوى خلعها ، لولا أن مشيت
بذراعى عرشها ، وبدلت أقصى جهدها لسدو هادئة
سائلة ، وهي تقول :

— لقد مقد وعنه لما لحقه من إهانات .. اتركوا
لرميقه الطبيب (آدمز) مهمة العناية به ، وعندما
يسميد وعنه أخرجوهم من (المور) ، وامنحوهم
مؤر تكفى لأربعة أيام ، ولا يمسهم أحد مادي ، حتى
لا يقال إننا قد اطلقنا سراحهم لمقتلهم الما وجوعا
بعيدا عن أبوابنا .

ولوحت بيدها معلمة انتهاء المجلس ، وبهضت
مفسادة المكان ، وخلفها كهنتها وقوادها
ووزراؤها ..

وحمل بعض (الاسانى) الكابتن على محفة ،
وسمعت أحدهم يقول في سخرية :

— انظروا إلى ذلك الكلب الأنض ، الذى منى
بفسه بالحصول على رهرة (المور) ، فلم يحصد
سوى الندم والعار .. أطبه قد لقي حقه كيدا .

شاركه الباقر سخريته ونهكه وشماتته حتى

لبعا سحسا ، فرحت أعمل على إنعاش الكابتن ،
حتى استعاد وعيه ، وقال فى هدوء :

— لقد رأيتم ما حدث يا رفاق ، واسنحلفكم بحق
المساء ألا يذكر أحدكم (مجيده) بسوء ، وألا يتحدث
عن هذا الأمر مرة أخرى .

وعندناه بتحقيق رعبته ، فى حين اشباح ولدى
(روبرك) بوجهه ، وانقسم انقسامه عامضة ، أم
أهم معزاهها لحظتها ، ولكنى لم أسأله ، بل اكنميت
ما ن تناولنا جميعا الطعام ، ولم نكد نسي من تناولها
حتى دخل ضابط من ضباط (الاسانى) إلى حצרنا .
يأمرنا بالاستعداد للرحيل ، وحلفه عدد من الجنود
يلقون إلينا ملاسما ومعاطف تقينا شر البرد القارس
لسلا ..

واندلنا بثيابنا ثيابا بطيعة ، ثم خرجنا إلى حيث
تنتظرنا بعض الجمال ، ابركت عندما وقع بصرى
عليها أنها من أحوذ انواع الجمال ، وقال الضابط
فى صرامة :

— هيا ايها الغرباء .. راجعوا أمتعتكم ، حتى
لا تدعوا أناسا قد سرقنا منكم شيئا .. ها هي ذخيرتكم
والعائكم النارية ، ولكننا لن نسلّمها لكم قبل بهانه
الطريق ، وستتبعكم جمال تحمل صناديق العظام

التي طلبوها أحرأ ، وأخرى تحوى بعض الآثار ،
التي طلبها (هجر) .. ولقد أمرت الملكة إلا تسحوا
هذه الصاديق قبل بلوغكم (مصر) ، حتى لا تجادلوا
في أمر المكافاة أو قيمتها ، والجمل الآخر يحمل
لمعالمكم .. هيا .. لقد حان موعد رحيلكم .

انطربا سهوات الحيات ، ورامقا الحراس حتى
نهاية الطريق ، حيث كانت منتظرا جماعة من
الناقصين ، الذين راحوا بمطرونا بأقدع الألباط ،
حتى اقتصاهم الجند عبا ، وألقى أحد هؤلاء الناقصين
عليها نصة بأسدة ، تحطمت على أنف (هجر) ،
وسالت هي وجهه ، مراح بسب ساحطا ناتها ، في
حين استعرت أبا ضاحكا للمشهد ، وبددت ضحكته
حو الكآبة المحم على الموقف ، ثم لم يلبث أن احتنقت
في حلقى ، عندما وقع مصرى على رجل في أنفى
حلله ، يمتطى حوادا أشهب ، وينتظرننا منتشقا
سيفه ، وسط ثلة من رجاله ..

كان أكثر شخص بنفسا في هذا العالم ..

الأمير (جوشيا) ..

١٤ - الختام ..

كان أول ما جال محاطرنا ، في تلك اللحظة ، هو
أن (جوشيا) يصمر لنا شرا ، وأنه ما وقف ينتظرا
خارج أبواب (المور) ، إلا ليمزقا إربا مع جنوده ،
إلا أنه اكتمى بأسمامة ساخرة ، وهو يحس في
تهكم ، قائلا :

— الوداع أيها الضيوف الأعزاء .. ارحو لكم
رحلة طيبة آمنة .

ثم التفت إلى الكابتن ، واستطرد :

— أما أنت أيها الوسيم ، مسليله الملوك تملكك
أيها بأسف ، لأمك لن تشاهد حمل رمايها إلى اللبنة ،
ملقد خشيت أن ثور قومها لرؤيتك ، مقتلوك
وتسل دماؤك ليلة عرمسا ، ولقد أرسلتني لأخبرك
أنها سمى لو كنت قد وعيت الدرس ، حتى لا يتصور
لاحقا أن عطف صاحبة المصلحة عليك حب ، متمكر
في عبارتها ، واشرب الليلة نخب زهرة (المور)
وزوجها الأمير (جوشيا) .

واجهه الكابتن في برود ، وقال :

— من يدري على أي أمر تشرق شمس الغد
يا (جوشيا) .. العسرة دائما بخواتم الأمور ،

لا سدايانها ، وثق أنه من عاش بالسيف مات به ،
وإن حيائك التي مسها على القدر ستنتهي بقدر ،
وإن من يصحك أخيرا يصحك كثيرا ، وكان ينسى
أن تطلب منى الصفح عن ثمتك وشتائمك ، التي
أنهلت بها على رموس من لا يكون القوة على الثأر
والانتقام .

قال هذا وواصل طريقه ونحو خلمه ، في حين
سمعا (جوشيا) من خلفنا يسأل أحد رجاله في
دهشة :

— ما الذي يعنيه هذا الخنزير ؟

ولكننا لم نتوقف ، وواصلنا السير حتى استعدنا
عن (جوشيا) ورجاله ، وأبواب (المور) ، وغابت
كلها عن أنصارنا ، فإذا بالأسناذ (هيجر) يسبحر
ضاحكا ، على نحو آثار دهشتنا ، فسأله الكائن :

— وماذا هناك ؟

أوقف (هيجر) جمته ، وهبط من على ظهره ،
واذمع إلى أحد الحمال المحملة بالصناديق ، وهو
يهتف :

— لا يسأل وانت نجلس هناك .. هلم
وساعدنى لنفتح أحد هذه الصناديق .

قال الكابتن في حذر :

— ولكن أوامر الملكة ..

قاطعه في انفعال :

— دعك من هذا .. هيا وعلونى .

عاوناه جميعا على إنزال أحد الصناديق الثقيلة ،
وهتف هو في انفعال ، وهو يزيل رتاج الصندوق :

— لن يمكنكم أن تتصوروا حجم المكافأة التي

حصلنا عليها ، والتي استقيسها بنفسى من مقابر ملوك
(المور) .

فتحنا الصندوق ، وتراحنا مهورين ..
كانت هناك أكوام من الذهب والمجوهرات
والمحفلات الأثرية والأحجار الكريمة بمختلف أنواعها ..
والتمصت التحف والمجوهرات تحت أشعة
الشمس الأملية ، وهتف (هيجر) ، وهو يشير إلى
الصناديق التي تحملها الحمال الأخرى :

— كل صندوق من هذه يحمل نفس الأشياء ..
لقد منحتنا الملكة كنزا ، مقابل ما فعلنا .. منحتنا
كنوز الملك (سليمان) .

قلت في انفعال ، وأنا أنطلق إلى الكنز :

— لا تنسوا نصيب الجاويش (كويك) ..
سيحصل على عشرة في المائة من كنوز الملك

(سليمان) ، وسبقدها إلى أبناء شقيقه الراحل ،
و

وقع بصرى في تلك اللحظة على وجه الكابتن ،
الذى بدا باردا ، خاليا من الانفعالات ، فبترت
مبارتى ؛ لأسأله في دهشة :

— ألا يسعدك الحصول على كنوز الملك
(سليمان) ؟

أطلق من أعماق صدره تنهيدة حارة ، وهز
رأسه وكففيه ، وهو يقول في أسف :

— ما فائدتها ، وقد خسرت الكنز الحقيقى ؟
ثم أدار ظهره لنا ، وانصرف متجاهلا أكداس
الذهب والمجوهرات . .

لاحظتها علما بما الذى يقصده بالكنز الحقيقى ،
وامتلات رموسنا بصورة واحدة . .
صورة الملكة . .

مضت بنا القافلة في الصحراء ، وقد تقدمتها أنا
و (هيجز) ؛ لخبرتنا بدروب الصحارى ، وسار
الكابتن في الوسط ، في حين بقى (رودريك) في
المؤخرة ، لسمعه الحاد ، وخبرته في كبح جماح
الجمال وقيادتها . .

وعبرنا مدينة (هرمق) العظيمة ، وقد خلت من
سكانها ، وصارت اطلالا مهجورة ، على الرغم من
أن حقولها لا تزال مزهرة يانعة ، وواصلنا سيرنا
حتى بلغنا قرية مهجورة ، فحططنا فيها الرجال ،
ورحنا نتناول طعامنا ، مع مغيب الشمس . .

ودار بيننا نقاش حول الطريق الذى ينبغى أن
نتخذه ، انطلق إلى الشمال ، أم نسلك
الطريق القديم ، بعد أن جفت مستنقعاته ، وخرج
(رودريك) لاستطلاع المنطقة ، ثم عاد ليخبرنا أنه
قد وجد آثارا تشير إلى أن جيشا عظيما من (الفنج)
قد غادر المدينة منذ ما لا يزيد على اثنتى عشرة
ساعة على الأكثر . .

ولقد اقلقنا هذا كثيرا ، ورحنا نتسائل عما يعنيه
هذا ، حتى غلبنا النوم ، فاستسلمنا إليه في عبق . .
وقبيل الفجر ابتظنى (رودريك) ، وهو يقول :
— معذرة لإزعاجك يا أبى ، ولكن هناك ظاهرة
في السماء ، أحب أن تشاهدها .

استيقظت وتطلعت إلى الشفق ، حيث (المور) ،
وهالئى أن أجد السماء هناك مضاءة ، وكأننا في
وسط النهار ، فأسرعت إلى الكابتن ، الذى لم يذق
النوم ، وهو يعلم أن حبيبته ستزف لأبشع رجل

عرفه في حياته ، فهب يحدق في المشهد بدوره ، ثم
قال في صوت هادئ :

— إن (المور) تحترق .

هتف (رودريك) في انفعال :

— لا ريب أن (الفنج) قد تسللوا عبر الطريق
السرى إلى (المور) ، ولا شك أن (بارونج) قد
ذبح (جوشيا) ، أو قتله شر قتلة ، قبل أن ترف إليه
سلسلة الملوك .

غامت عينا (اورم) بحزن عميق ، دون أن ينبس
ببنت شفه ، في حين غمغت أنا مشفقا :

— يا للملكة البائسة !! ترى ماذا أصابها ؟

هز (هيجز) رأسه ، وقال :

— من يدري ؟ .. إننى محجب حقا بتلك الفاتنة ..
يا للبائسة !

ومجأة هتف (رودريك) :

— هناك من يقتفى أثرنا .

أسرعنا إلى حيث يشير ، ووقع بصرنا على شبح
ملثم ، يعتلى صهوة جواد متمصب ، مرفع (هيجز)
بنديته إليه ، وقال في صرامة :

— من أنت ؟

هبط الشبح عن جواده ، وبدأ لنا كصبي صغير ،
اتجه نحو الكابتن ، وقال في صوت أجش :

— إننى رسول أحمل رسالة للكابتن .

وناول الكابتن شيئا ، ورأيت الكابتن يحدق في هذا
الشيء مبهورا ، فألقيت نظرة على راحته ، وهتفت :

— رياء !! إنه الخاتم .. خاتم (بلقيس) .

وصاح الكابتن في جزع :

— من أين أتيت بهذا الخاتم أيها الصبي ؟ وماذا
أصاب صاحبه ؟

أجابه الصبي المثلث :

— لقد ماتت ابنة الملوك التى عرفتتها ، ولم تعد
بها حاجة لهذا الخاتم .

امتقع وجه الكابتن ، وتراجع كالمصعوق ،
وانتقلت صاعقه إلينا ، عندها أرفف الصبي بصوت
مللوف لأذاننا :

— ولكن (مجيدة) التى أحببتك ما زالت على قيد
الحياة .

وانترع الصبي اللثام ، وشهقنا جميعا ..

لقد كان (مجيدة) نفسها ، التى رحنا نتطلع إليها

في ذهول وصمت ، قبل أن ترنو هي إلى حبيبها ،
وتضيف :

— لم تعد بي حاجة إلى الخاتم ، ما دمت سابقتي
إلى جوارك .

ضمها (أورم) إلى صدره في لهفة وسعادة
واشتياق ..

الآن فقط نال الكنز الحقيقي ..

كنز الملك (سليمان) ..

[تمت بحمد الله]



وانتزع الصبي اللثام ، وشبهنا جميعاً ..
لقد كان (مجيدة) نفسها ، التي رحنا نتطلع إليها ..



كنوز الملك سليمان

رائعة الأديب البريطاني (رايدر هاجارد) ، التي
يقفز فيها عبر عالم الخيال ، إلى بلاد غامضة مجهولة ،
وسط أدغال أفريقيا ، ليواجه مع أبطاله الأهوال
والأحداث المثيرة ، في سبيل بلوغ تلك الكنوز
الأسطورية .. (كنوز الملك سليمان) .

